الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People s Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف-
University of Chadli Ben Djedid El Taref
كلية الآداب واللغات
Faculty of Letters and Languages
قسم اللغة والأدب العربي
Departement of Language and Arabic Letter

التراث الشعبي الجزائري بين الثابت والمتغير
-العادات الشعبية أنموذجا-

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في الأدب الشعبي

الميـــــــــدان : اللغة والأدب العربي
الشعبـــــــــة : دراســـات أدبية
التخصـــــــص : أدب شعـــبي.

إعـداد الطالبة:
أزهار بوعلاق

إشــراف الأستاذة:
د. بريزة بهلول

لجـــــــنة المناقـــــشـــــة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفـــــة
مبروكة حولي	أستاذ محاضر (أ)	رئيسا
بريزة بهلول	أستاذ محاضر (أ)	مشرفا ومقررا
سهام سلطاني	أستاذ محاضر (ب)	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023 / 2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

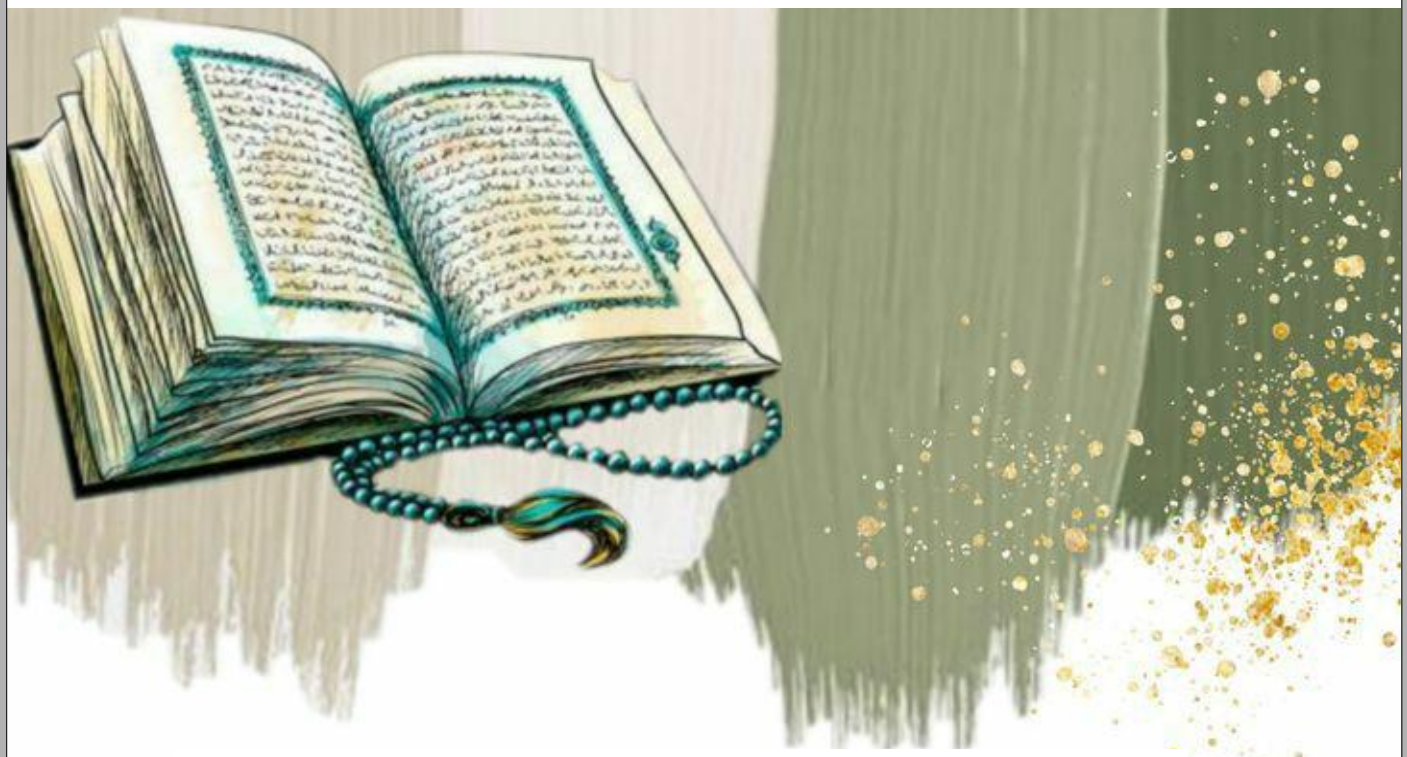

وَقُلِ اعْمَلُوا

فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

شكر وعرفان

عرفانا بالفضل نوّد أن نسدي شكرنا العميق الّذي ندين به لأستاذتي الدّكتورة –بهلول بريـزة– الّتي كانت تلحظني بعين العالم الغيور على العلم وأهله وما قدّمته لي من علم ووقت وخبرة ما كان إلاّ لدّقتها العلميّة ومنهجها الّذي يفيض ثراء ولأياديها البيضاء الأثر البارز في إخراج هذا البحث.

وشكري العميق موصول لأسرة جامعة الشّاذلي بن جديد الطّارف ومنهم الأساتذة الأجلاّء أعضاء لجنة المناقشة الموقّرين

آملين الاستفادة من تقويمهم العلميّ وملاحظاتهم القيّمة

وفّقنا الله لما فيه الخير وهدانا لحسن القصد.

إهداء

أشكر الله تعالى وأحمده على توفيقي لإنجاز هذا العمل وأهدي ثمرته إلى:

-من كان سببا لي في هذا الوجود ،وكانا دائما عونا لي أبي وأمي.

-إلى مـــن كان قوّتي عنـــدما تســـلّل الضّعـــف

في لحظات التّعب إلى قلبي والدّاعم الأوّل لي

سندي بعد الله زوجي الغالي .

-إلى أبنائي

إلى إخوتي وأخواتي

-إلى كلّ أساتذة جامعة الشّاذلي بن جديد-الطارف- الّذين تركوا أثرا طيّبا في قلبي،

إلى كلّ هؤلاء أقول: شكرًا من القلب

مقدمة

تعتمد حضارات الأمم على تراثها الذي يمثل أكبر ركيزة لإثبات هويتها، وأصالة مجتمعها فهو حمولة ثقافية، وتاريخية، ودينية، وفنية، واجتماعية، تدل على استمراريته وتعاقبه عبر الأجيال يضمن ديمومتها، والأمم التي يكون تراثها ضاربًا في عمق التاريخ هي الأكثر تعليما فيه، والأكثر تأثيرا في تكوين المجتمعات، ويكون تراثها الأوسع انتشارًا والأكثر رواجا، حيث يمتد بين العديد من الأمم والحضارات، ويشيع في الكثير من النطاقات الجغرافية.

إن أهم مجالات الإرث الشعبي المتداول هو مجال العادات والتقاليد؛ فالعادات سلوكات وأنماط عيش، يسير عليها الأفراد في مجتمعه ويتبناها، وتكون صور سلوكه وتصرفاته متكررة على نمطية موحدة مما سوغ تسميتها بالعادة، وكلما كانت العادات راسخة في المجتمع كلما تداولها أفرادها وكلما هاجرها أفرادها ذبلت وتغيرت إلى صورة مختلفة عما كانت عليه.

ولأن دور العادات مهم في تكوين شخصية المجتمع اخترنا أن ندرس في موضوع المذكرة الثابت والمتغير في العادات الشعبية المؤثرة في سيرورة التراث الشعبي الجزائرية عموما، تحت عنوان: **"التراث الشعبي الجزائري بين الثابت والمتغير –العادات الشعبية أنموذجا-"** و الاعتبارات التي أدت بنا إلى اختيار هذا الموضوع، وهي أسباب ملحة حثتنا على البحث فيه، منقسمة إلى الدوافع موضوعيه وأخرى ذاتية، أما الذاتية منها نحصرها في النقاط الآتية:

- شغفنا بالتراث الشعبي على امتداد صوره ومجالاته، ورغبتنا في البحث فيه خاصة في مجال العادات التي هي صورة غالبة على طباع المجتمعات الشعبية، ومختلفة من إقليم إلى إقليم ومن تجمع لآخر.

- أملي في إضافة عمل في مجال التراث الشعبي، وتقديم دراسة على موضوع لم يطرقه كثيرا بحث الباحثين.

- تخضع عملية تجديد التراث لعدة عوامل، من أهمها التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن التقدم التكنولوجي، والتي أحدثت تحولات كبيرة في الحياة اليومية للفرد، بالاعتماد على

أنماط عيش حديثة تبتعد كثيرا عن الطرق التقليدية التي مارسها أجداده، بهذا تلعب هذه العوامل دورا فعالا في تجديد التراث الشعبي وتحولاته بين الأجيال التي ينتمي إليها.

تتعلق دوافعنا الموضوعية في:

- هاجسنا العلمي لمعرفة الدوافع المؤدية إلى تغيير عادة ما من ثباتها.
- يعتبر موضوع دراسة الثابت والمتغير في العادات الشعبية من الموضوعات الهامة والمجالات الأساسية التي تستهوي الباحثين لكشفها، وتفسيرها بصورة علمية.
- البحث في مجال لم يطرق كثيرا بالنسبة للدارسين والباحثين.
- إثبات أن أكثر العوامل المؤدية لتغيير العادات من بقائها ثابتة هو الطابع الحداثي الذي ميز هذا العصر، ولم يعشه أجدادنا أطواره من قبل.

وكي نتمكن من الخوض في الموضوع وتفكيك شفراته، ومعالجته بصورة علمية، صغنا الموضوع ضمن الإشكال الرئيسي الآتي:

- كيف تمثل الثابت والمتغير في العادات الشعبية الجزائرية؟

ولتحقيق هذا الإشكال والإجابة عنه صغنا عدة فرضيات تسير البحث، وتكوّن أقسامه وأطواره، منها:

- ما مفهوم الثابت والمتغير وما خصائصهما؟ ما هي العوامل المؤدية للتغيير والثبات؟
- ما التراث وما أقسامه وما أهميته؟ ما هو حد العادات الشعبية ومميزاتها وأهميتها؟
- كيف تثبت العادات الشعبية أو تتغير في المجتمع الجزائري؟
- ولبسط هذه التساؤلات جزّأنا هذه فرضيات وضبطناها في مدخل وفصلين، تعقبهما خاتمة حوت أهم النتائج، حيث:

تناولنا في مدخل تحت عنوان "**الثابت والمتغير وعلاقتهما بالتراث الشعبي**" تعريف الثابت والمتغير لغة واصطلاحا، وحددنا خصائصهما والعوامل المؤدية للتغيير ومظاهره وأشكاله ومصادره.

حوى الفصل النظري المعنون بـ: " **التراث والعادات الشعبية: المفهوم، المميزات والأهمية**" على شقين، الشق الأول تناولنا فيه تعريف التراث وأهميته وبيان خصائصه ومميزاته وأقسامه. أما القسم الثاني فتناولنا فيه تعريف العادات الشعبية لغة واصطلاحا **وتحديد** نشأتها وأهميتها وتفرعها وخصائصها وأهميتها وعلاقتها بالفرد و المجتمع.

تربع الفصل الثاني المعنون بـ: "**الثابت والمتغير في العادات الشعبية الجزائرية**" على عدة مقاطع، درسنا فيه نماذج عن العادات الشعبية الجزائرية المختلفة المتعلقة باختيار العروس وسنها والختان والوحم وعادات ما بعد الولادة، وأخرى متعلقة بالمناسبات الدينية المختلفة، مثبتين المتغير منها والثابت، ومستخلصين العوامل التي أدت إلى ذلك.

يعقب ذلك كله خاتمة تضم أهم النتائج المتحصل عليها في البحث، ملخصها أن الثابت والمتغير يكون في العادات الشعبية نسبيا، فقد يحدث التغيير وقد تثبت العادة على ذاتها، أو يكون التغيير في العادة طفيفا أو كبيرا مع بقاء إطارها العام كموروث شعبي. إضافة إلى ملحق لملمنا فيه بعض الصور الموضحة للفصل التطبيقي، والتي تثبت وجود العادة من تغيرها، لنصل إلى آخر جزئية من البحث ألا وهي فهرسة للموضوعات المتناولة في البحث وملخص عنه.

ضم البحث قائمة للمراجع التي ساهمت في بنائه، وقد استفدنا منها كثيرا في بناء أطوار المذكرة، كانت متنوعة بين كتب وقواميس ومحاضرات ومواقع إلكترونية. نذكر منها:

- عاطف مُحَمَّد، غيث التعبير الاجتماعي والتخطيط.
- مُحَمَّد الدقس :التغيير الاجتماعي ،بين نظرية والتطبيق.
- ابن منظور، لسان العرب.
- أدونيس الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب.
- فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية.

مع العلم أننا لم نجد دراسة مخصصة في نفس موضوع بحثنا مستقلة به، وهذا طبعا عند حدود بحثنا وإمكانات اطلاعنا.

لنتمكن من معالجة موضوع الدراسة بصورة علمية، اعتمدنا المنهج الاستقصائي لتتبع الظاهرة، مع آليتي الوصف والتحليل، إضافة للبحث الميداني في جمع العينات للتحليل بالنسبة للفصل الثاني التطبيقي.

واجهنا الكثير من العراقيل و الصعوبات، وهذا ديدن الكثير من البحوث، من بينها:

-نقص المراجع والدراسات الكافية للدراسة.
-نقص في جمع المادة لتحفظ العديد من أفراد المجتمع العينة على التعامل معنا، بل كثير منهم رفض بدعوى تدوين الاسم والتسجيل.
-غياب الأساليب والطرق التي تساعدنا في التسجيل الميداني.

رغم ضغط هذه الصعاب إلا أن اصراري على العمل، وإنجازه بكل تفان واتمامه على أحسن صورة، فوصلت إلى مبتغاي وأتممت المذكرة في الوقت المحدد، ويعود الفضل في ذلك أولا **لله العزيز** القدير الذي أنار لي طريق العلم والمعرفة، فلا يسعني إلا أن أسجد شكرا وأنحني عرفانا حيث وفقني لإنهاء هذا العمل، فالحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات. كما أتقدم بجزيل الشكر لأستاذتي الدّكتورة الفاضلة –بهلول بريــزة- الّتي تقف بين طلبتها لتذلل لهم الصعاب وتمهد لهم طريقا للنجاح، والتي كان لها الفضل في إخراج هذا البحث. وأثني على كل من ساهم في دعمي من قريب أو بعيد عائلتي المحترمة، مديرتي في العمل، زميلاتي أخص بالذكر زميلتي(فريدة)،كما لا يفوتني شكر جامعة الشاذلي بن جديد المحتضنة لإنجازاتنا، لكونها منبر علم ننهل المعرفة من مقاعدها. وأتقدم بجزيل الشكر لأسرة جامعة ومنهم الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الموقّرين الذين تكبدوا عناء تمحيصه وتقييمه، آملة الاستفادة من تقويمهم العلميّ وملاحظاتهم القيّمة.

وأخيرا نرجو من المولى عزو جل أن أكون قد وفقت في بحثي ويثمر بين يدي كل من يشتغل في مضمونه، وندعو الله التوفيق والسداد لنا ولجميع من سلك في العلم دربا وفّقني الله إياكم لما فيه خير...

الطارف في: 2024/09/08

المدخل: الثابت و المتغير

وعلاقتهما بالتراث الشعبي

- **تمهيد:**

يمثل كل من الثابت والمتغير بعدين ضروريين في تشكيل الثقافة، والحفاظ على القيم الأساسية والمبادئ الثقافية، ويضمنان استمرارية الهوية بالارتباط بالماضي، وفي الوقت ذاته التكيف مع المتغيرات والتطورات الحديثة، ويعززان من قدرة المجتمع على الاستجابة للتحديات الجديدة، لذا فاحتضان العلاقة بين الثابت والمتغير بطرق مدروسة ومتوازنة يسمح لنا بتطوير الثقافة، وتعزيز الهوية الثقافية، ومواكبة التغيرات والتحديات الحديثة.

يرسخ هذا الفهم من قدرة المجتمع على التكيف والنمو دون التفريط في قيمه الأساسية الأصيلة، مما يساهم في بناء مجتمع قوي، يمكّننا من العمل على الحفاظ على الهوية الثقافية وتحديثها بطرق عصرية جديدة، وذلك من خلال قدرتنا على التكيف مع العصر دون التفريط في القيم الثقافية الموروثة سواء كانت الدينية أو السياسية أو الاجتماعية. فماذا نعني بالثابت وما هو التغير ؟

I. الثابـــــــــت والمتغير: التعريـــــــــف والخصائص

أن الوقوف على مفهوم مصطلح ما يوجب علينا تعيين حده اللغوي ثم الاصطلاحي، وذلك لأن الدلالة اللغوية من شأنها أن تضمن لنا جزاءً من مفهومه، فيقرب لنا دلالته ومجاله ومقوماته. لذا سوف نقف على معنى مصطلحي الثابت والمتغير لغة واصطلاحا. ثم تحديد أهم خصائصهما ومميزاتهما.

1- تعريف الثابت وبيان خصائصه

يحقق تحديد دلالة المصطلح لغة واصطلاحا قدرا كبيرا من فهم مقولاته وكنهه وخصائصه، مما يمكننا من تأويله وتطبيقه في أطوار البحث والدراسة وسوف نقف على معالم هذين البعدين الدلاليين حتى نتمكن من اسقاطه لاحقا على أجزاء البحث التطبيقية.

أ- تعريف الثابت

نوجز تعريف مصطلح الثابت اللغوي والاصطلاحي في الآتي:

1. لغة:

اشتق لفظ الثابت من الجذر اللغوي "ثبت"، يقابلها في المعجم الفرنسي لفظ"stable" ومن معانيه: ثابت، ماكن، راسخ، مستقر، دائم، مستتب.[1] ومن معاني لفظ ثبت في لسان العرب [2]:

- يقال للجراد إذا رز أذنابه ليبيض : ثبت وأثبت وثبت .
- ثبت فلان في المكان يثبت ثبوتا فهو ثابت إذا أقام به .
- أثبته السقم إذا لم يفارقه .
- ثبته عن الأمر ثبطه .
- فرس ثبت : ثقف في عدوه . ورجل ثبت الغدر إذا كان ثابتا في قتال أو كلام

(1)- أنطوان نعمه وآخرون، المنجد الفرنسي العربي،مادة (stable)، دار المشرق،بيروت، لبنان، (د ط)، 1984، ص:870.

(2): ابن منظور، لسان العرب مادة (ث ب ت)مج1، دار المعارف، القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ج9، ص : 468.

- واستثبت : تأنى فيه ولم يعجل . واستثبت في أمره إذا شاور وفحص عنه .
- المثبت : الذي ثقل فلم يبرح الفراش . والثبات : سير يشد به الرحل ، وجمعه أثبتة.
- وتقول أيضا : لا أحكم بكذا ، إلا بثبت أي : بحجة .
- وقول ثابت : صحيح .
- وقوله - عز وجل:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[1]قال الزجاج : أي ينفقونها مقرين بأنها مما يثيب الله عليها . وقال في قوله - عز وجل:﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[2] ;قال : معنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب، وليس للشك ، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر على القلب ، كان القلب أسكن وأثبت أبدا،وقوله تعالى:﴿ذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾[3] أي : يجرحوك جراحة لا تقوم معها.

نفهم مما سبق ذكره أن مصطلح الثابت يشير إلى ما يبقى دون تغيير أو ما يتسم بالاستمرارية في جميع المجالات، ورسخ في مكانه دون تحوير أو تغيير، يتميز بديمومته على وضع واحد يجسده ويعرف به .

2. اصطلاحـــــــا:

تعددت التعريفات والمدلولات الاصطلاحية لمصطلح الثابت ويستخدم المصطلح في عدة سياقات بمعان مختلفة، فنجد ومن بين هذه التعريفات ما أشار به أدونيس« أن الفكر الذي ينهض على النص ويتخذ من ثباته حجة لثباته هو، فهما وتقويما، ويفرض نفسه بوصفه المعنى الصحيح لهذا النص، وبوصفه إسنادا إلى ذلك، سلطة معرفية. [4] »

في نظر أدونيس أن الثبات هو المبدأ الأساسي في الفهم والتقويم النصي، فالفرد إذا نهض بفكره أو تفسير لنص ما، يستند إلى ثباته لتأييد فكرته، فإنه بذلك يقوم بعملية فهم وتقويم للنص.

(1)- سورة البقرة، الآية: 265.

(2)- سورة هود، الآية: 120.

(3)- سورة الأنفال، الآية: 30.

(4) أدونيس الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ط)، ج1، 2016م، ص :11.

أمّا الثّابت في الأحكام الشرعية، فرغم اختلاف التعريفات إلا أن المعنى والمدلول واحد ومن بين هذه التعريفات « المعلوم من الدين بالضرورة مما هو مجمع عليه (...) وهو ذلك القدر الذي يمثل دين الإسلام، ويمثل هويته وحقيقته بحيث لا يتصور الإسلام بدونه، وهذا القدر يمكن -باطمئنان- أن تطلق عليه الثابت لأنه يلازم حالة واحدة وصورة واحدة لدى جميع أشخاص الأمة في كل مكان وزمان وعلى كل حال».[1] من خلال هذا التعريف يتبين أن الثوابت في الأحكام الشرعية لا تتغير وغير قابلة للتغيير، حيث أن كل من يتجاوزها فإنه بذلك نعتبره تجاوز الدين الإسلامي وخرقه.

ونجد مفهوم آخر لمصطلح الثابت يتمثل في أن: «الأصل أو القاعدة الحاكمة التي توجه مسيرة الأمة إلى السعادة والفلاح، وتوحد الأمة اعتقادا وقيما، وتطرد الحيرة من العقل البشري، وتضبط السلوك والتصرفات، وهي ليست مجال مساومة ولا مراجعة، ولا تحتمل تبديلا ولا تغيير».[2] فيبين لنا هذا التعريف أن معنى "الثابت" القاعدة الأساسية التي تسير عليها كل أمة وتؤيدها إلى النجاح وطريقه التي بدورها لا تخضع لأي تبديل مهما حدث حتى وإن تغير الزمان والمكان والأفراد.

نخلص من جملة التعريفات السابقة أن الثابت هو الشيء الذي لا يتغير ولا يتبدل فيلزم حلة واحدة مستقرة.

ب- خصائص الثابت:

يتميز الشيء الثبات قد يعطي مجموعة من الخصائص لعل من أهمها[3]:

- ✓ الاستقرار، حيث لا يطرأ عليه أي تحول ولا تغير.
- ✓ الديمومة، لا يتأثر بتغير الزمان والمكان وأي تأثير منهما لا يغير في خصائصه ووظائفه.

(1) رائد نصري جميل أبو مؤنس، الثوابت والمتغيرات في التشريع الإسلامي دراسة أصولية تحليلية، أطروحة لاستكمال لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله المشرف: عبد المعز حريز، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004، ص: 20.

(2): فاضل عبد العباس محسن النعيمي، مُحَمَّد عباس نهاية ثامر الجرياوي، الثابت والمتغير في الإعجاز التشريعي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 9، ع 2، 2019م، ص: 199.

(3): مجموعة مؤلفين، مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر المجتمع المسلم... الثوابت والمتغيرات، رابطة العالم الإسلامي 1433هـ، 2012م،ص:9.

- ✓ صارمة، فلو كان قابل للفساد والبطلان لرفض وفقد صفة الاستقرار والدوام.
- ✓ الشمولية، يعم الجميع مهما اختلفت طبائعهم وأفكارهم الكلية.
- ✓ مشترك إنساني حضاري، لا يضره اختلاف الدين وتباين المستوى الحضاري.
- ✓ القدرة على التكيف مع دواعي الزمان وفرائض المكان.

نستنتج مما سبق أن من أهم خصائص الثابت أنه مستقر ودائم ومستمر وعام ومشترك، كما يتميز بالقدرة على التكيف مع المتغيرات الطارئة والمفروضة.

1- مفهوم المتغير وتعيين عوامله وخصائصه:

لقي هذا المصطلح عدة تعريفات مختلفة ومتنوعة شأنه شأن الثابت، لذا سنقف على حدوده المعرفية المعجمية والاصطلاحية.

أ- مفهوم المتغير

يتمثل مفهوم المتغير في شقيه اللغوي والاصطلاحي في الآتي:

1. المفهوم اللغوي:

إن مصطلح المتغير مرادف لمصطلح المتحول والمختلف مأخوذ من الجذر (غير) ومن معانيه في قاموس المحيط[1]:

ـ غيرُ بمعْنَى: سِوى، وتكونُ بمعنى لا: {فَمَنِ اضْطُرَّ غيرَ باغٍ}، أي: جائعاً لا باغِياً، وبمعنى إلاَّ
ـ تَغَيَّرَ عن حالِهِ: تَحَوَّلَ.
ـ غَيَّرَهُ :جَعَلَهُ غيرَ ما كان، وحَوَّلَهُ، وبَدَّلَهُ، والاسمُ :الغَيْرُ.
ـ غِيَرُ الدَّهْرِ: أحْداثُهُ المُغَيِّرَةُ. وأرضٌ مَغِيرَةٌ ومَغْيُورَةٌ :مَسْقِيَّةٌ.

(1) --مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، مادة (غير)، دار الحديث، القاهرة، مصر، طبعة منقحة،2008، ص-ص: 1211-1212.

ـ غارَهُمُ اللّهُ تعالى بِمَطَرٍ: سَقاهُم، وغارَهُمُ بِخَيْرٍ: أعْطاهُمْ،
ـ غارَ فلاناً: نَفَعَهُ. وأغارَ أهْلَهُ: تَزَوَّجَ عليها فَغارَتْ.
ـ غيارُ :البِدالُ

وقد جاء في لسان العرب المتغير: كلمة أصلها الاسم (متغير) في صورة مفرد مذكر وجذرها (غير) وجذعها (متغير) وتحليلها (الـــ+ متغير).

وهو مفرد لمذكر الاسم المفعول (متغير) في حال يكون مرفوعا والمشتق من الفعل تغير... أي تغير الشيء عن حاله: تحول، وغيره: حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان.[1]

إذن فمصطلح المتغير يتميز بعدم الاستقرار والدوام والاستسلام للأوضاع والظروف ويعني التبديل الذي يطرأ على الشيء نقيضه الثابت الملازم للحالة المستقرة الدائمة.

2. المفهوم الاصطلاحي:

تناولت الدراسات خاصة المعاصرة منها مصطلح المتغير فقد أشار إليه أدونيس حينما تطرق إلى الفكر «الذي ينهض هو أيضا على النص، لكن بتأويل يجعل النص قابلا للتكيف مع الواقع وتجدده، وإما أنه الفكر الذي لا يرى في النص أية مرجعية ويعتمد أساسا على العقل ولا على النقل».[2] يتبين من خلال هذا التعريف أن أدونيس يسير إلى أن المتغير هو الفكرة أو التفسير الذي يتناول النص الأدبي ويعطي له معاني متعددة أو تأويلات متنوعة تجعل النص قابلا للتكيف مع الواقع المعاصر والتغييرات الثقافية والاجتماعية. فهذا المفهوم يشير إلى القدرة على الاستنتاج والتحليل الفكري المستقل دون الاعتماد بشكل كبير على النقل الثقافي المسبق، أي يعكس استقلالية العقل في فهم النص الأدبي وتحليله.

(1): إبن منظور، لسان العرب، مج 5، ج 46، المرجع السابق، ص، ص: 25 ، 33.
(2) أدونيس الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، المرجع السابق، ص-ص: 11—12.

كما نجد تعريفا آخر للمتحول وهو "بمعنى أن الزمن متغير ولا شيء يبقى على حاله وقديما قال هرقطيس أو هيراقليتوس الذي كان يصر على أن الوجود في تغير دائم على اعتباره الجوهر الأساسي في الكون."[1] يعكس هذا التعريف فهما عميقا لطبيعة الواقع والحياة؛ حيث أن التغيير والتحول هما جزء لا يتجزأ من العملية الحيوية للحياة المرتبطة بالزمن المتحول والمتغير من خلاله يتغير كل شيء بما في ذلك الثقافة والفكر والسلوك إلى غير ذلك.

في نفس النسق والمفهوم يوضح ابن خلدون أن المتغير خاصية الكون والأمم يقول:"إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك فى الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع فى الآفاق والأقطار والأزمنة والدول"[2]

لا يخرج مفهوم التغيير في علم الاجتماع عن التعريف أعلاه على أنه حركة تشمل كل مجالات الحياة، وقد تعرض كل من جيرث وميلز الى ماهية التغير الاجتماعي ويعتبرانه « التحول الذي يطرأ على النظم الاجتماعية وقواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة معينة من الزمن»[3] ليمثل التغيير ظاهرة اجتماعية مؤثرة، "هو تحول من مرحلة الى أخرى فكل مجتمع خاضع لعملية التغير، فالتغير ظاهرة جماعية يمس قطاعا أو مجموعة هامة ويؤثر على نمط أو شروط الحياة حيث يسعى الأفراد والجماعات والمؤسسات إلى تحقيقه في وفي نفس الوقت إلى تفاديه"[4]. كما يعني "كل تغيير يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فتره زمنية محددة، وقد يكون هذا التغيير ايجابيا أي تقدما وقد يكون سلبيا أي تخلفا."[5] مما يحيلنا إلى أن المتغيرة في المجتمع ليس دوما على هيئة واحدة أو بالتأثير المرغوب فيه؛ بل قد يكون محمودا يؤدي إلى التقدم والتطور أو يكون مذموما للنتائج السلبية التي يخلفها في المجتمع.

(1) أدونيس الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، المرجع السابق، ص : 11.

(2) ابن خلدون، عبدالرحمان، مقدمة ابن خلدون، تحقيق ودراسة: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، مصر، ج1، 2004م، ص: 321.

(3) مُحَمَّد الدقس، التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي، الأردن، ط2، 1996،ص: 17.

(4) لخولي سناء، التعبير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 1993 ، ص: 107.

(5) مُحَمَّد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية و التطبيق ، المرجع السابق، ص:19.

أمّا مفهوم مصطلح المتغير في الشريعة الإسلامية فقد لقي عدة تعريفات متعددة من بين هذه التعريفات:

- "موارد الاجتهاد، وكل ما لم يقيم عليه دليل قاطع من نص صحيح أو إجماع صريح."[1]
- "الأحكام التي يمكن أن يعتبرها التغيير والتبديل والتأويل، تبعا لتغير الأحوال المحيطة، والمصالح والأعراف، وحاجات المجتمع وظروفه المختلفة."[2].
- "إن التغيير في الحكم الشرعي هو الانتقال من حالة كونه مشروعا إلى حالة كونه ممنوعا، فيصبح مشروعا باختلاف درجة المشروعية والمنع"[3]

بمعنى أن الفقيه يمكنه الاجتهاد بالرأي ومنه إنتاج أحكام مختلفة ومتباينة ما دام لم يكن هناك دليل قاطع ثابت-لأن" الانتقال من الأصل العام في ثبات الأحكام إلى تغيّرها عما كانت عليه في السابق يستند إلى دليل شرعي محكم وثابت"[4] مما يجعل المجتهد أمام مجال مفتوح يستطيع التأويل إذا ما توفرت دواعيه وتظافرت أسبابه.

نخلص من خلال رصد مفهوم المتغير في عدة مجالات انه يعني:

- هو كل شيء لم يثبت على حاله وغير قادر على الاستمرار أي أنه يتصف بالتجدد والتطور الدائم.
- يخضع للظروف والأحوال تستدعي التغيير.

ب- عوامل التغيير وبيان خصائصه وأشكاله ومصادره:

تتطور المجتمعات الإنسانية وتتحول بشكل مستمر، وتأخذ هذه التغيرات الطابع الاجتماعي، تحدث وفقًا للعديد من العوامل، منها: البيئة، والحضارية والتكنولوجية وبناءً على هذه العوامل تظهر التغيرات

(1) صلاح الصاوي: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر أكاديمية الشريعة بأمريكا،ط1، 1443ه،2009م، ص: 53.

(2) فاضل عبد العباس محسن النعيمي، مُحَمَّد عباس نهاية ثامر الجرياوي، الثابت والمتغير في الإعجاز التشريعي، ص: 201.

(3) مُحَمَّد علي الصليم، الضبط والتحديد بين الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، العدد94، سبتمبر (2023)،ص: 64.

(4) المرجع نفسه،،ص: 63.

في أشكال مختلفة، نوجز منها الآتي :[1]

1. قد تكون التغييرات جذرية وسريعة تؤثر على المجتمع بأسره، "وذلك كما يحدث عادة عندما تقوم ثورة عسكرية أو اجتماعية فتطيح بالنظم الموجودة وتقيم قواعد ونظم جديده مستحدثة وقد تمثل هذه النظم المستحدثة تقدما تلقائيا أي تطورا مصحوبا بتقدم وتحسن وقد تمثل نقصا وتراجعا"[2] إذا كان القائمون بالثورة أو الانقلاب رجعيين أو غير متقدمين يتسم بـ:

- الجذرية تغلغله عميق في المجتمع - السرعة في التحول - يخلق تأثيرات ملحوظة وسريعة في فترة قصيرة.

2. قد يكون التغيير بطيء وهذا في المجتمعات البدائية أو المتأخرة حضاريًا يعكس طبيعته المستقرة والثابتة إلى حد كبير بحفاظه على القيم والتقاليد الثقافية راسخة في نفوس أفراده والتفكير الجمعي للمجتمع، فتتوغل التعديلات بشكل تدريجي. وهو التغيير يتسم بـ:

– التحفظ والانغلاق- قلة سرعة التكيف- توفير الاستقرار – الابقاء على النموذج الثابت لحياة الجماعة.

3. قد يكون التغيير متدرج مرحلي يقع جراء تراكمات التحول الجزئية المتوغلة تدريجيا في المجتمع، "لا نستطيع إدراكها في مدى زمن قصير إلا أنها مستمرة وتحدث بانتظام وتسارع وهي في الغالب تغيرات كمية لا تؤثر في الكيفية التي يعيشها المجتمع." [3] يتسم هذا التغيير بـ:

– الاستمرارية والتراكم – المساهمة على مدى الزمن في تحقيق تحولات كبيرة - يعزز قدرة المجتمع على التكيف بمرونة - ضمان استدامة التعديلات والتحولات في المجتمع بشكل سلس .

(1) ينظر: ألبرت مور، التغيير الاجتماعي، ترجمة عمر القباني، دار الكرنك، القاهرة، مصر، ط1 ، 1966 ص. : 10.
و حواوسة جمال، محاضرات في مقياس تغير اجتماعي، مطبوعة بيداغوجية موجهة للسنة الثانية علم الاجتماع، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2020-2021، ص-ص: 11-12.

(2) مسعد الفاروق حمودة وابراهيم عبد الهادي المليجي، المدخل الى تنظيم المجتمع المعاصر ،نظرة تكاملية ،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط،1 ،4001 ص: 4.

(3) جودة بني جابر، علم النفس الاجتماعي، مكتب الدار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004، ص: 163.

- ومن أشكال التغيير أيضا في المجتمع نجد:[1]

1) **التغيير الدائري** يعكس نمطًا من التكرار المبني على ظروف دورية "وتكرارها يعتمد على الظروف الموضوعية والذاتية التي تمر بها المجتمعات ،فالمجتمعات التي تمر بفترات جمود وتخلف انتكاس تعقبها فترات تطور وعدم استقرار." [2]
2) **التغيير الخطي أو الطولي** يعكس مسارًا تطوريًا يتسم بالاستمرارية والتقدم نحو أهداف محددة "ذلك أن أغلب ظواهر وعملية نظم المجتمع تتغير باستمرار وتغيرها قد يكون نحو أهداف محددة ومرغوب فيها علما أن هذا التغيير لا يتمخض عنه تكرار الحوادث التي وقعت في الزمن الماضي بل يتمخض عن وصول المجتمع الى مراحل سامية ومتطورة".[3]
3) **التغيير التطوري** يمثل عملية مستمرة في المجتمعات الإنسانية منتظمة من أجل التقدم ، حيث يتم الانتقال من مراحل بسيطة إلى مراحل أكثر تعقيدًا. يساهم في تحسين وتطور المجتمعات، ويعزز من قدرتها على التكيف مع الظروف المتغيرة.
4) التغيير **الانتشاري الحضاري** هو عملية حيوية تساهم في تسريع نمو وتقدم المجتمع من خلال تبادل الأفكار والمعلومات بين المجتمعات. عن طريق التأثيرات الثقافية والتكنولوجية، مما يؤدي إلى تحسينات سريعة وفعالة في جميع جوانب الحياة، معززا الابتكار والتطور الحضاري بطرق تعود بالنفع على المجتمع بأسره.

- **ومن بين الخصائص** نجد:[4]

1) اقتران التغيير بحدوث الجديد، فلا يحدث غالبا إلا مع حدوث أمر جديد في المجتمع .
2) التغيير الاجتماعي وتبدل يحدث بسبب عوامل معينة: اجتماعية سياسية اقتصادية دينية فكرية تكنولوجية...

(1) إحسان محمّد الحسن، مبادئ علم الاجتماع الحديث ،دار وائل للنشر ،عمان، الاردن 2005 ص، ص: 303: ، 305.
(2) المرجع نفسه، ص: 303 .
(3) إحسان محمّد الحسن، مبادئ علم الاجتماع الحديث، المرجع السابق ،ص: 304 .
(4) حواوسة جمال، محاضرات في مقياس تغير اجتماعي، المرجع السابق، ص-ص: 11-12.

3) التغيير غير مسبق التخطيط: فالمجتمع " لم يكن قد خطط لمواجهة الثقافة الجديدة أو للتعامل معها، دخولها هو الذي حرك آليات التغيير اللازمة وقادها بما يتناسب مع وجودها ومع الظروف المحيطة بالمجتمع".[1]

4) التغيير غير محدد الهدف والغاية إذ لا يتم التخطيط له بشكل مسبق عندها يكون في المجتمع غير موجه بأهداف أو غايات محددة، و تظل الغاية الوحيدة هي إعادة تشكيل البنية الاجتماعية.

5) التغيير غير معروف النتائج فلا يضمن معرفة نتائج التغيير الاجتماعي على المدى القريب أو البعيد. لذا لا يمكن التنبؤ بالعواقب مسبقًا لأنها غير معروفة، قد تكون مفيدة للمجتمع أو ضارة به.

6) التغيير غالبا يتسم بالبطء في تطوره، حيث تكون ردود الفعل الأولية مؤثرة لكنها ليست حاسمة أو نهائية في تحديد مسار التغيير.

7) التغيير قوي الأثر يمتلك تأثيرًا عميقًا على هوية المجتمع وخصائصه.

8) التغيير يتمتع بالديمومة ويتعلق الأمر خاصة بالتغييرات التي تنبع من" صلب إرادة المجتمع ورغبته يكتب لها الديمومة والتغييرات التي تفرض على المجتمع فرضا لسبب أو لأخر لا يكتب لها من الديمومة إلا ما دامت الظروف الضاغطة موجودة." [2]

9) التغيير حركة اجتماعية: "تعمل على تغيير البناء الاجتماعي إذ يكون بعض الناس غير مقتنعين بما يحصل داخل المجتمع، من أمور سياسية أو اقتصادية أو عن طريق احتكاكهم يتبلور عندهم شعور وإدراك الأمور التي تتفق مع قناعتهم." [3]

10)التغيير يعتمد على آليات منها: الاختراع والاكتشاف- الذكاء والبيئة الثقافية – الانتشار.[4]

- **يمكننا تحديد مبعثين ومصدرين للتغيير**، وهما:

1. **المبعث الداخلي :**يشير إلى التغيرات التي تنشأ من داخل النظام الاجتماعي في حدوده وإطاره لا خارج عنه ، حيث يكون نتيجة للتفاعلات التي تحدث ضمن المجتمع ذاته.
2. **المبعث الخارجي :**ينشأ من خارج المجتمع ويكون نتيجة لعملية التأثير والتأثر،و لتفاعل المجتمع مع مجتمعات أخرى، مما يؤثر على إحداث التغيير.

(1) عاطف مُحَمَّد، غيث التعبير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف، القاهرة،ط2، 1966، ص : 2.

(2) أحمد النكلاوي، التغيير والبناء الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، مصر، د ط، 1968،ص :45.

(3) المرجع نفسه، ص: 120.

(4) مُحَمَّد الدقس :التغيير الاجتماعي ،بين نظرية والتطبيق ، المرجع السابق،،ص –ص: 20-21.

II. الثابت والمتغير في الموروث الشعبي:

يعتبر التراث، بما يحمله من عادات وتقاليد ومعتقدات، المرجعية الأساسية لأي عمل يتعلق بالحداثة، ويعد العنصر الذي يربط الماضي بالحاضر والمستقبل وجب المحافظة على طبيعة هويته والتمسك به "فالتراث عامّة يمثّل تراكمات ثقافية مشتركة داخل المجتمع الواحد فهو المرجعية الأساسية لكل عمل متصل بالحداثة, ... بل الأهم يكمن في الاستمرار والمحافظة على الهوية والثقافة الوطنية "[1] فإن تراث اليوم سيمّثل حتما تراث الغد ، لذا سيوضع التراث جنبا إلى جنب مع الحداثة، و الإشكالية الكبرى المطروحة ليست في كيفية تجديد التراث بحد ذاته، بل في كيفية دمج هذا التجديد معه مع الحفاظ على الهوية الشعبية والثقافية والوطنية.

عندما يُناقش تجديد التراث، يبرز التحدي الأساسي في تحقيق توازن بين الأصالة والتحديث. فالتجديد ليس عملية تقضي على التراث القديم أو تستبدله بالكامل، بل هو عملية تُبنى على الأسس الثقافية الموجودة، مع إدخال عناصر جديدة تتناسب مع متطلبات العصر. يتطلب هذا التجديد فهمًا عميقًا للتراث وفلسفة التحديث التي لا تؤدي إلى فقدان الهوية الثقافية و الإبداع لا يتمثل في إحداث تغييرات جذرية منفصلة عن المرجعية الموروثة، بل يجب أن يكون الإبداع عملية متكاملة تستند إلى أسس التراث فتجعله متناسب مع التحديات والفرص الجديدة، فيتمثل الإبداع في كيفية دمج العناصر التقليدية بطريقة جديدة ومبتكرة، تتماشى مع واقع العصر دون المساس بجوهرها.

.إن الهدف الرئيسي ليس مجرد الحفاظ على التراث كعنصر ثابت، بل التأكيد على أهمية الهوية الثقافية عبر الأجيال. ومن هنا يجب أن يكون التراث جزءًا من الحياة اليومية، وأن يُعَزَّز في إطار التحديث بحيث يحافظ على دوره كمصدر للفخر والانتماء.فالمحافظة على الهوية الثقافية في ظل التحديات الحديثة تتطلب استراتيجيات واضحة ومبنية على فهم عميق للتراث والتحديث. وتوثيق العناصر الأساسية للتراث وتعليم الأجيال الجديدة عنها يساعد في الحفاظ على الفهم والاحترام للتاريخ الثقافي. هذه الاستراتيجيات يمكن أن تلعب دورًا حيويًا في نقل القيم الثقافية والاعتزاز بالتراث وإشراك المجتمع في عمليات تجديد التراث وتطويره، والتعزيز من مشاركتهم في الحفاظ على الهوية الثقافية، والتعاون بين الأفراد والمجتمعات

(1) حنفي حسين، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط.1، 2002،, ص: 192.

يمكن أن يؤدي إلى ابتكار طرق جديدة لتكريم التراث مع تلبية احتياجات العصر، ويجب إحداث توازن بين التمسك بالعناصر التقليدية، وإدخال عناصر حديثة تسهم في بقاء التراث حيًا ومؤثرًا في حياة الأفراد والمجتمع. يتمثل هذا التوازن في الحفاظ على الأسس الثقافية بينما يتم تطبيق تقنيات وأفكار جديدة تواكب العصر.

أخيرًا، إن المحافظة على الهوية والتمسك بالتراث في سياق الحداثة ليست عملية بسيطة، بل تتطلب فهماً عميقاً لكيفية التفاعل بين الثوابت الثقافية والتغيرات المعاصرة. من خلال التجديد المدروس والابتكار المستند إلى الأسس الثقافية، يمكن للمجتمعات أن تواصل الاحتفاظ بتراثها وتحديثه بما يتماشى مع العصر دون التفريط في قيمها الأساسية الأصيلة.

ما نستنتجه مما سبق أن الثابت والمتغير في ظاهرة ما قد يحضران معا؛ أي قد تكون الظاهرة بين ثبات بعضها وتغيّر بعضها الأخر، ولا يغيبان معا؛ بمعنى أذا تغيرت وضع أوظاهرة ما فإن حالة الثبات باتت منتهية، والعكس صحيح، أي إما أن تتغير الظواهر وإما أن تثبت وإما أن تكون بين هذا وذاك.

الفصل النظري: التراث والعادات الشعبية

المفهوم، المميزات، والأهمية

- **تمهيد:**

إن التراث الشعبي يمثل سجلًا غنيًا يعكس مواقف وخبرات وتجارب أفراد المجتمع عبر الأزمان. هذا التراث ليس مجرد مخزون ثقافي بل هو نتاج حياة وتجارب حقيقية عاشها الناس، وقاموا بتكييفها وتنظيمها بقوانين وطقوس تحفظها وتذكرها. بفضل هذا التاريخ الطويل من الاستقرار والتفاعل، أصبح التراث الشعبي يعبر بصدق عن الهوية الجماعية لكل مجتمع وطائفة وفرد.

المبدع الشعبي، في هذا السياق، لا يسعى إلى التظاهر أو إضافة عناصر خيالية لجذب الانتباه، بل يقدم إبداعه بصدق وبساطة تنبع من تجربته الشخصية والجماعية. وهذا الصدق في التعبير يجعل أعماله مقبولة وموثوقة في أوساط الناس، سواء كانوا من العامة أو الخاصة، حتى وإن مرت فترة طويلة على تقديمها. إن التراث الشعبي، بما يحمله من دروس وتجارب ومعانٍ، يستمر في التأثير ويظل ذا قيمة عالية عبر الأجيال. فهو كما يقول مُحَمَّد وقيع الله " :إن التراث الشعبي هو حكمة الجماهير، إنه الجانب الثقافي والعقائدي من عادات وتقاليد المجتمع ،فهو نتاج عصارة تفاعل المجتمع مع الظروف المختلفة في الأطوار المتراكمة " يبرز التراث الشعبي كمخزون ثري يعبر عن القيم والمعتقدات والممارسات التي شكلت هوية المجتمع. كل عنصر من عناصر التراث الشعبي، سواء كان أسطورة، أو مثل شعبي، أو تقليد، أو طقس، يحمل في طياته دروسًا وحكمًا مكتسبة من تجارب الحياة اليومية. وهذا ما يجعله مصدرًا غنيًا للفهم والوعي الثقافي، ووسيلة للحفاظ على الهوية وتطويرها على مر الزمن.

العادات الاجتماعية تُعَدُّ من أبرز تجليات التراث الشعبي لأنها تمثل الممارسات العملية التي تترجم النصوص الثقافية والتقاليد الشعبية إلى واقع ملموس. تأثير الممارسة في ترسيخ الفكرة وإضفاء القداسة على موروث الأسلاف أمر واضح؛ فهي تسهم في تحويل المفاهيم والأفكار إلى جزء من الحياة اليومية، مما يجعلها أكثر رسوخًا في الذاكرة الجماعية فالعادات الاجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن مدينة إلى مدينة، وهو ما يمنح كل مجموعة بشرية خصوصيتها وتفردها الثقافي. فالعادات الاجتماعية تعد بطاقة الهوية الثقافية التي تميز بين المجتمعات.

I. تعريف التراث وبيان أقسامه وخصائصه وأهميته

يبقى تحديد أفهوم الموروث الشعبي محل نقاش وجدال عند بعض الدارسين، فمن خلال التعمق والتدقيق في مضمون التراث وعلاقته بالتجديد سنجد أن هذا الأخير " محاكاة للتراث في سياق معاصر؛ حيث أن الأصالة هي أساس المعاصرة، والتراث يمثل وسيلة للوصول إلى التحديث وتطويعه مع متطلبات الواقع، فلا يمكن للتراث أن يكون منفصلا عن الواقع الحي؛ بل هو عنصر متحول ومتغير هو ليس بمثابة عقائد نظرية ثابتة وحقائق دائمة فلعل هذا الطرح في علاقة الأصالة بالحداثة يمثل قراءة في محاولة اختيار ما يمكن له ملائمة حاجيات العصر" [1]

رغم هذا الربط بين مفهومي التراث والمعاصرة إلا أنه يمكننا إيجاد حدود تعريفية لمصطلح التراث لغة واصطلاحا، وأقسامه ومميزاته، بشكل مسهب، وهذا يدل على الاهتمام الباحثين المعاصرين في كل أقطاب العالم بهذا المجال لأهميته، لأنه يشكل الأرضية الصلبة التي يقف عليها الشعوب وسر استمرار المجتمعات وديمومتها.

1- تعريف التـــراث:

نعين مفهوم التراث عند الوقوف على دلالته اللغوية والاصطلاحية.

أ- التراث لغـــــة:

تنوعت الدلالات اللغوية للتراث نذكر منها ما جاء في لسان العرب عند ابن منظور من فصل الواو،"**ورِثَ يرِث** ، **رِثْ** ، **وِرْثًا وإِرْثًا ووِراثةً** ،فهو **وارث ووريث** ،والمفعول **مَوْروث**. **ورِث** فلانًا مالَه /**ورِث** عن فلانٍ مالَه /**ورِث** من فلانٍ مالَه صار إليه مالُه بعد موته... شيء **موروث** :أي في دم المرء أو في طبعه، -**ورِث** مجدَ آبائه /**ورِث** المجدَ كابرًا عن كابر: صار مَجْدُهم إليه .. **إرث**؛ ما **وُرِث**، تَرِكة، ما خلَّفه الميِّت لورثته من مال أو ممتلكات وضياع.... **توارثته** الحوادثُ /**توارثته** المصائبُ: أخذته هذه مرَّة وهذه مرّة، تداولته.."[1].

(1) – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادو (و ر ث)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، مج 1، 2008، ص-ص: 2420-2421.

نجد من معاني "ورث" لاسم الفاعل الوارث، والوارث اسم من أسماء الله الحسنى، و" ...: صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، والله عز وجل فناء الكل، ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له."[1]

لم يقف المعنى اللغوي عند حدود الدلالة المعجمية بل إننا نجد مقاربة اصطلاحية في طيات بعض القواميس المعاصرة؛ حيث يشمل مفهومه توارث الأحفاد للحياة الشعبية المخلفة من الأجداد، نوجز هذه المقاربات المفهومية في النقاط الآتية[2]:

- إرْث - ميراث، ما خلَّفه الميِّت لورثته من مال أو ممتلكات ومتاع.
- أمر قديم متوارث؛ ما يتوارثه الناس عن آبائهم من تراث :-حضارتنا مزيج من إرث قديم ومكتسبات ومبدعات حديثة.
- إرْث اجتماعيّ: ما انتقل إلينا من أسلافنا عن طريق اجتماعيّ، وليس عن طرق بيولوجيّة.
- تُراثيَّات-: مفرد تُراثيَّة: أعمال فنيّة ذات قيمة عالية تصوِّر الآراء والأنماط والعادات الحضاريّة القديمة للأجداد، وتختلف هذه الأعمال باختلاف الشُّعوب والثَّقافات واللُّغات.
- موروث-: مجموعة من العادات والأعراف يُنظر إليها كسوابق تشكِّل الجزء الأساسيّ المؤثِّر على الحاضر.

كل هذه الدلالات اللغوية توضح أن مفهوم "التراث" يمكن أن يشمل الجوانب الدينية، الاجتماعية، والاقتصادية. في السياق الأدبي والثقافي، ويُمكّننا أن نعين التراث على أنه مجموعة من الممارسات والمعارف والقيم والممتلكات المادية التي تُنتقل عبر الأجيال، وهي جزء أساسي من الهوية الثقافية للمجتمعات.

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة (ورث)، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 2، ط2، 1992، ص:199.

(2) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (و ر ث)، المرجع السابق، ص-ص: 2421-2422.

ب- التراث اصطلاحا:

التراث الشعبي العربي جزءا لا يتجزأ من الهوية الثقافية للمجتمعات، ويعكس تجاربها وقيمها وتقاليدها وطرق حياتها. حدده بعض الباحثين في مجالاته ولم يختلفوا في أنه أثّر وتأثّر، وأنه منحدر من أعماق التأريخ للشعوب، متأصل في أجياله المحتضنة له، من بين من عرّفه نجد قول:

- سيد علي إسماعيل أنه " ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد والمشتمل على القيم التاريخية والدينية." [1]ليكون التراث ما جاد به كل الجيل السابق لأحفاده يشمل كل مواطن الحياة متنوع تنوع التجارب الانسانية، فيكوّن حمولة من القيم والوظائف الحيوية التي ترسو في أسلوب حياة المجتمع المنتمي إليها والممارس لهذا التراث المتنوع.

- مُحَمَّد عابد الجايدي في تعريفه للتراث: « التراث العربي كغيره من التراث له أثر وتأثير بحضارات غيره من الأهم والشعوب قديما وحديثا، وزاد في اختصابه تطور صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات وبين الحضارة العربية».[2] فالتراث العربي له أثر كبير وتأثير عميق على العديد من الحضارات الأخرى في العالم سواء في الماضي أو في الوقت الحاضر يمتلك التراث العربي تنوعا ثقافيا وفنيا وفكريا يعكس تأثيره وتأثره بالعديد من الحضارات الأخرى.

- حنفي حسين بأن التراث هو: « عبارة عن مجموعة الإنتاج الفكري والحضاري والتاريخي الذي ورثته الإنسانية جمعاء بمعنى آخر أن الحضارات تتلاقى فيما بينها».[3]التراث هو كل ما وصلنا من الماضي فيمثل وجها من الحضارة، ويدخل في الحضارة السائدة.

---

(1) سيد علي إسماعيل، أثر التراث العربي في المسرح المصري ،الناشر مؤسسة الهنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة،(د ط)،(د ت)، ص : 38.

(2) مُحَمَّد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي، دت، دط، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص: 14.

(3) حنفي حسين، التراث العربي الإسلامي، دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، الجزائر، 1998، ص:13.

- مجدي وهبة عرفه أنه: « ما خلف لنا السلف من آثار علمية وأدبية مما يعد نفسيته بالنسبة إلى تقاليد العصر الحاضر وروحه»[1]،فالتراث في معجم المصطلحات الأدبية ممهد لحياة الأجيال الحاضرة وأرضية توطد وجوده في عصره.

إذن؛ التراث هو بمثابة الكنز الثقافي للبشرية وهو يشمل كل ما تركه الأجداد من إنجازات وإبداعات في مختلف المجالات مثل الأدب والفنون والعلوم والتقاليد والعادات... وغيرها، يعكس التراث تطور الحضارات عبر العصور ويعبر عن هويتها وقيمها الثقافية والاجتماعية وفي الوقت نفسه، يعكس التراث التفاعلات والتأثير بين الحضارات المختلفة، حيث تتبادل الثقافات المعارف والتقنيات والممارسات عبر الزمن والمكان، مما يجعلها تتلاقى وتتشابك في تاريخ مشترك، ويعد الحفاظ على التراث ودراسته ونقله للأجيال القادمة أمرا بالغا الأهمية، فهو يساهم في فهمنا لتاريخ وهويتنا ويمكنه أن يلعب دورا هاما في تعزيز التفاهم والتقارب بين الثقافات المختلفة.

2- مميزاته وأقسامه:-

التراث الشعبي هو نسيج معقد من العناصر الثقافية التي تتفاعل وتتطور بمرور الزمن من خلال مميزاته المختلفة وأقسامه المتنوعة، يلعب التراث الشعبي دورًا حيويًّا في الحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيز الروابط الاجتماعية بين الأفراد.

أ- مميزاته:

تتميز المادة التراثية الشعبية بطبيعتها الانتقالية أي المشافهة عبر الأجيال غالبا من خلال الأفراد والمجتمع دون وجود جهد منظم أو مؤسساتي لتوثيقها أو نقلها، فإن «أهم ما يميز المادة التراثية الشعبية هي انتقالها عبر الآحاد والجماعات مشافهة وتواتر، دون أن يكون هذا التشافه والتواتر عملا منظما تقوم به المؤسسات والأفراد يهدف التعبير من خلال المادة التراثية. ووظائف متنوعة من توجيه أو

(1) مجدي وهبة، معجم المصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، د ط ، 197، ص: 27.

تسلية أو تثقف أو ضبط اجتماعي».[1] يتم نقل هذه المواد التراثية عن طريق القصص والأغاني والتقاليد والعادات التي تنتقل شفويا أو بشكل غير رسمي بين أفراد المجتمع. ومن خلال هذا التوارث الشفوي تنتقل المعارف والقيم والممارسات التقليدية التي تعبر عن هوية الشعوب وثقافتها.

وإذا انتقلنا إلى ميزة أخرى للتراث الشعبي: «فهو يشمل جميع الموروثات على مدى الأجيال من أفعال وعادات وتقاليد وسلوكيات وأقوال تتناول مظاهر الحياة العامة والخاصة وطرف الاتصال بين الأفراد والجماعات الصغير(...)».[2]

التراث الشعبي، بما يحتويه من أفعال وأقوال وتقاليد وسلوكيات، هو تعبير غني عن جوانب الحياة المختلفة، سواء العامة أو الخاصة. يُعتبر التراث الشعبي مرآة تعكس تجارب الأفراد والمجتمعات عبر الأزمان، وله خصائص ومميزات متعددة تؤكد على طبيعته الجماعية والمرنة.

نختصر مميزات التراث الشعبي مما سبق في الآتي:

1. **القدم والمجهولية المؤلف**

- **قدمه** :التراث الشعبي هو في الأساس موروث قديم، تتراكم تفاصيله وتجربته عبر الأجيال. يميل هذا التراث إلى أن يكون غير معروف المؤلف، حيث لا يُعزى إلى فرد معين، بل هو نتاج جماعي.
- **مجهولية المؤلف** :غالبًا ما يكون من الصعب تحديد مؤلف معين لأجزاء كبيرة من التراث الشعبي. هذا يعكس طبيعة التراث الذي يُنتج ويتطور من خلال المساهمة الجماعية بدلاً من الإبداع الفردي.

(1): عزام أبوا الحمام المطور: الفلكلور (التراث الشعبي) الموضوعات، الأساليب، المناهج، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2007، ص:30.

(2): حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط2، 2002، ص: 15.

2. **تعبير عن الوجدان الاجتماعي**

يعبر التراث الشعبي عن الوجدان الاجتماعي للأمة بعمق تاريخي. يمكن ملاحظة هذا في الحكايات والسير الشعبية التي تعكس القيم والتقاليد والمعتقدات التي كانت مهمة في الأزمان الماضية.

3. **التغيير وقابليته للتكيف**

التراث الشعبي يمتاز بقدرته على التكيف والتغيير مع مرور الزمن. من خلال انتقاله عبر الأجيال والعصور، يتعرض التراث للتعديل والتطوير، مما يجعله يعكس التحولات الاجتماعية والثقافية. هذه القابلية للتغيير تضيف إلى التراث الشعبي طابعًا مميزًا يتغير من عصر إلى عصر.

4. **الانتقال الشفوي والتواتر**

يُنقَل التراث الشعبي بشكل رئيسي عبر الشفاهة والتواتر بين الأفراد والمجتمعات. هذا يعني أن التراث يتفاعل مع الأفراد بطريقة مباشرة ويتعرض للتغيير أثناء نقله، مما يعزز من خصائصه الجماعية.

5. **التأثير والتأثر**

التراث الشعبي يتأثر بروح العصر ويؤثر في المجتمع الذي يمارسه. من خلال التفاعل مع الحياة العامة، يتكيف التراث الشعبي مع التغيرات الاجتماعية، ويعكس التغيرات والتأثيرات التي تطرأ على المجتمع.

6. **التنوع**

يتنوع التراث الشعبي فلا يلمس جانبا واحدا من الحياة ولا ينحصر في مجال بعينه، فهو عصارة تجارب إنسانية مختلفة ومتعاقبة عبر الأزمنة و الأمكنة لذا فهو شامل لكل مناحي الحياة، لذا تنوع وتعددت مشاربه المادية والمعنوية، فشمل كل من الأفعال والأقوال والأفكار والسلوكات التي تعكس جوانب مختلفة من الحياة، مثل الاحتفالات الاجتماعية والطقوس الدينية، والمناسبات الاجتماعية

مثل الزواج والدفن والولادة. كما احتوى أيضًا على الكثير من الآثار والنقوش والصناعات التي تمثل موروث الأجيال السابقة. هذه العناصر المادية تعكس الثقافة والتجربة التاريخية للمجتمعات التي أنتجتها.

7. **الجماعية** :

يعبر التراث الشعبي عن الجماعة وليس الأفراد. هو نتاج التفاعل الجماعي والتجربة المشتركة، ويعكس القيم والمعتقدات التي تشترك فيها المجموعة.

8. **عملية التحوير:**

بما أن التراث الشعبي ينقل عبر الأجيال ويتغير وفقًا لروح العصر، فإنه يتعرض لعمليات التحوير مثل الزيادة والنقصان، مما يجعله دائم التغير ومرنًا بما يتناسب مع الأوقات المختلفة.

إذن فالتراث الشعبي هو تعبير حيّ عن الثقافة والتجربة الجماعية، يمتاز بقدراته على التكيف والتغيير مع الزمن، ويعكس تفاعل الأفراد والمجتمعات مع قيمهم ومعتقداتهم عبر الأجيال

ب- أقسامه:

إن التراث الثقافي الشعبي «مجال رحب يضم العديد من العناصر الثقافية المتنوعة التي ابتكرها الوجدان الشعبي وصاغتها ضمائر الجماعة وابتدعتها ذلك فهو يتخلل جميع المظاهر السلوكية ويتداخل مع جميع الأفعال الاجتماعية»[1]

يتداخل التراث الشعبي مع جميع جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسلوكية، حيث أنه بفضل تنوعه وعمقه فإنه يساهم في إثراء التفاعلات الثقافية بين الشعوب والثقافات المختلفة حيث قسم معظم الباحثين هذه العناصر الثقافية إلى أربعة أقسام: **المعتقدات الشعبية، العادات والتقاليد الاجتماعية، الفنون الشعبية، الأدب الشعبي.**

(1) مُحَمَّد عباس إبراهيم، الثقافة الشعبية؛ الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، دط ، 2009، ص: 69.

1. المعتقدات الشعبية:

وهي الاعتقادات والمفاهيم والقصص التي يؤمن بها أفراد المجتمعات والجماعات الشعبية دون أن تكون بالضرورة مدعومة بالأدلة العلمية أو المنطقية، والمعتقد « إنجاز الفكر الإنساني، فعندما نقول أمن الإنسان بالشيء أي صدقة وأقنع بوجود الفكر بوظيفته، بقوته، بجماله، بقبحه وعواقبه بحركيته وأضراره بدوره في الدنيا وفي الأخيرة فهو في خلاصة القول الإيمان المطلق».[1]

تشمل المعتقدات مجموعة متنوعة من الأفكار والقناعات التي قد تكون دينية أو فلسفية أو معنوية أو أخلاقية أو غير ذلك، تعكس المعتقدات آراء وتصورات الإنسان بشأن العالم والحياة والوجود والممارسات الروحية والأخلاقية. والمعتقدات الشعبية هي: « تلك التصورات والأفكار والمعارف التي أنتجتها المخيلة الشعبية والتي لها صلة بالجانب الروحي من حياة الإنسان أو هي تلك الممارسات والشعائر الأسطورية التي كان يقوم بها البدائيون لتأمين حياتهم من الشرور والأخطار والمعتقدات من هذه الناحية ظاهرة حضارية تعبر عن تكيف الإنسان مع محيطه الغامض في حدود ثقافته ووعيه. [2]» فتشمل المعتقدات الشعبية مجموعة متنوعة من الأفكار والتصورات مثل الإيمان بالأرواح، والجن، والقوى الخارقة والطقوس الدينية والسحرية والأساطير... وغيرها

وتعكس هذه المعتقدات تصورات الشعوب للعالم الخارجي والكون وأساليب التعامل معه وفهمه. وعلى الرغم من أن بعض المعتقدات قد تكون خرافية أو غير مثبتة علميا، إلا أنها تشكل جزءا مهما من الثقافة والتراث الشعبي للشعوب والمجتمعات.

2. العـــادات والتقاليد:

تشكل العادات والتقاليد جزءا هاما من التراث الثقافي للمجتمعات فهي: « حالات معنوية ذات علاقة روحية عميقة روحية عميقة الجذور بنفسيات الناس وقيمهم الثقافية والاجتماعية فهي ساكنة

(1) سبوح رشيد، المعتقدات الشعبية في الجزائر، ظاهرة العين نموذجا، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2001، ص: 12.

(2) كاملي بلحاج، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، قراءة في المكونات والأصول منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2004، دط، ص : 119.

في ضمائرهم ومنعكسة في أساليب سلوكهم... وهي حكمة الشعب».[1] تنبع العادات والتقاليد من القيم الثقافية والاجتماعية وهي جزء لا يتجزأ من الوعي الجماعي والضمائر الشعبية. حيث تعكس تلك العادات والتقاليد تاريخا طويلا من الخبرات والتجارب التي تمر بها المجتمعات.

تحمل العادات والتقاليد معها الحكمة والخبرة التي تم تجميعها وتوريثها عبر الأجيال، وبالتالي تكون مصدرا للتعلم والتأصيل لدى الأفراد والمجتمعات، تحافظ العادات والتقاليد على استقرار المجتمعات وتساهم في نقل القيم والمبادئ الثقافية من جيل لآخر.

3. الفنـــــــون الشعبـــــــــية:

اختلف دارسوا الأدب الشعبي في تصنيفها فمنهم من يرى أنها تشمل « التعبيرات الروحية كفنون الأدب الشعبي والموسيقى والرقص وتشمل التعبيرات المادية كفن الرسم والنقش والنحت والعمارة والأثاث والأزياء والصناعات الشعبية الأخرى».[2] وعليه الفنون الشعبية هي مجموعة واسعة من التعبيرات الفنية التي تنشأ من تجارب وتفاعلات الشعوب والجماعات الشعبية، وتعبر هذه الفنون عن قيم الشعوب وتقاليدها ومعتقداتها وتجاربها اليومية.

هناك من يصنف الفنون إلى «الموسيقى والرقص والألعاب الشعبية، وفنون التشكيل الشعبي، وعناصر الثقافة المادية كالصناعات الشعبية والأدوات المنزلية وأدوات العمل الزراعي».[3] لتشمل الفنون أنواعا مختلفة من الموسيقى التي تنشأ وتطور في سياقات ثقافية شعبية محددة وتعبر عن تجارب ومشاعر وقيم الشعوب وتفاعلاتهم وتعتبر هذه الفنون والتعبيرات جزءا أساسيا من التراث الثقافي التي تعكس تجاربهم وقيمهم وثقافتهم.

وليس الهدف من هذه الفنون الشعبية " التسلية والترويح عن النفوس المكدودة بعد عمل النهار الطويل ... إن التسلية والترويح وظيفة ثانوية أما الوظيفة المحورية فقومية على الدوام تطلب

(1) مُحَمَّد سعيدي، العائلة، عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر، الظاهرة الاحتفالية بالأعياد نموذجا، مجلة إنسانيات، جامعة تلمسان، العدد 4 جانفي 1998، ص: 45,

(2) أكرم قانصو، التصوير الشعبي العربي، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1995، ص: 14.

(3) المرجع نفسه، ص: 14.

المحافظة على ذات الفرد العزيز في أمته وتطلب المحافظة على الاجتماعية كلها في آن واحد"[1] فتحمل الفنون الشعبية قيما وتعاليما وتقاليدا تعكس تاريخ وثقافة الشعوب وتساهم في توحيد المجتمع وتعزيز التفاهم بين أفراده، كما تعكس الفنون الشعبية قيم وتقاليد وتعاليم المجتمع، كما أنها تعمل على تعزيز التواصل الاجتماعي والترابط بين الأفراد وتعزيز العلاقات الاجتماعية.

4. الأدب الشعـــــبي:

يعـــرّف الأدب الشعبي بأنه: « تلك الأشكال الفنية التي ابتدعتها العقلية الشعبية المبدعة متوسلة بالكلمة للتعبير عن واقعها، وأحلامها وآمالها، ولتفسير الكون والظواهر الطبيعية والإنسانية من حولها، وذلك لنقل التراث الثقافي عبر الأجيال، حفاظا على هذا التراث الذي يعمل على تماسك الجماعة، وإكسابها هويتها الثقافية».[(2)] يمثل الأدبالشعبي وسيلة للتعبير عن الواقع والتجارب الحياتية للناس بطريقة تلامس قلوبهم وتعبر عن معتقداتهم وقيمهم، تتنوع أشكال الأدب الشعبي بين القصص الشعبية والأمثال والأشعار الشعبية والألغاز والحكايات الشعبية والأغاني.... وغيرها، يعتبر الأدب الشعبي وسيلة لنقل المعرفة والحكمة الشعبية والتعاليم الحياتية من جيل إلى آخر، ويسهم في تشكيل الوعي الثقافي للمجتمع وترسيخ القيم والمبادئ الإنسانية والاجتماعية.

ويقال أيضا الأدب الشعبي هو:« أدب الطبقات الشعبية التي توارثته من أجيال طويلة، وهو أدب غني بالمغزى والرموز التي تكشف عن تجارب الفرد الشعبي مع نفسه ومع الكون كله .....، وهو الأدب مجهول المؤلف، العامي اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية[3]»من خلال هذا التعريف يمكن استنتاج خصائص الأدب الشعبي:

- **الشمولية:** فهو يشمل مختلف فئات المجتمع ولا يقتصر على طبقة اجتماعية واحدة.
- **التراث والتوارث:** يحمل الأدب الشعبي تراثا ثقافيا وتاريخيا يتم نقله وتوارثه من جيل إلى جيل.

(1) عبد الحميد يونس، المأثورات الشعبية طابعها القومي والإنساني، مجلة الفنون الشعبية، العدد 100، 2015، ص:27.

(2) كمال الدين حسين، الدراسات في الأدب الشعبي، كلية رياض الأطفال، جامعة القاهرة، دت، دط، ص: 11.

(3) طلال حرب، أولية النص، نظرات في النقد والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1999، بيروت، ص –ص: 63- 64.

- **مجهول المؤلف.**
- **عامـــي اللّـــــغة.**
- **شفـــــــــــــوي.**

3- أهمية التراث الشعبي :

ممّا لاشك فيه أن : "تراث أية أمه هو مجموع الخبرات التي حققتها عبر تاريخها الطويل في السياسة والأدب والاقتصاد والفلسفة، وسائر العلوم الأخرى و يمثل أيضا وجدانها وعواطفها، ومشاعرها، وذوقها تجاه مختلف القضايا الإنسانية والجمالية"[1] فتراث أية امة يشمل جوانب متعددة و معقدة من تجربتها الإنسانية فالخبرات السياسية تشمل نظام الحكم، والتجارب الدستورية والأحداث التاريخية التي شكلت كيفية إدارة شؤون الأمة .

أمّا الأدب فيعبر من قضايا وقيم وتجارب من خلال الكتابات والقصص والشعر، وأمّا الاقتصاد يتضمن التطورات الاقتصادية، الابتكارات، والنماذج الاقتصادية التي استخدمتها الأمة عبر تاريخها، والفلسفة تعبر هي الأخرى عن القيم الفكرية والأخلاقية التي شكلت أساس الفكر والعقيدة في الأمة، أمّا الوجدان والعواطف تعكس المشاعر والقيم الإنسانية التي عاشت بها الأمة مثل الفرح والحزن، الحب والاحترام، هذه العواطف تعطي لمحة عن التجارب الشخصية والجماعية التي شكلت الهوية الثقافية، المشاعر والذوق يتضمن تلك الجماليات التي تعبر عن كيفية تقدير الأمة للفنون والعمارة والموسيقى والتقاليد بمعنى أنّ التراث مجموع لهذه العناصر و يشكل مزيجا غنيا من التجارب والمعتقدات والقيم التي تحدد هوية الأمة وتساهم في توجيه تطورها المستقبلي.

* **إذن التراث** :"هو شخصية الأمم و وجودها التاريخي: ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وإنّ تخلي أمة عن تراثها يعني البداية من الصفر كما يسهل مهمة إلغاء تراث الإنسانية كله[2] فهو جزء كبير من المعرفة التي جمعها البشر.

---

(1)الكيسي الطراد، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة و الإبداع في الشعر العربي الحديث ،منشورات وزارة الثقافة و الفنون ،بغداد، العراق، د ط، 1978 ، ص: 3.

(2) ،المرجع نفسه، ص: 3.

يمثل التراث الأمم و وجودها التاريخي عبر الأزمان، إنّـــــه لا يشمل فقط الماضي، بل يمتد ليشكل الحاضر ويؤثر في المستقبل فهو يعبر عن الهوية الثقافية للأمة ويحدّد كيفية رؤية الشعب لنفسه ولعلمه وهو مجموع القيم والتقاليد التي تميز أمة عن غيرها وتربط أفرادها بماضيهم، كما يشمل التراث المعرفة التي جمعها البشر على مدى العصور في مجالات متعددة مثل العلوم، الفلسفة، الأدب، والفنون، هذه المعرفة توفر قاعدة صلبة لبناء أفكار وممارسات جديدة، فإذا تخلى شعب على تراثه، فقد يواجه صعوبة في تحديد هويته والبناء على أساس من الاستمرارية التاريخية[1]، قد يبدأ من الصفر في محاولة بناء معرفة وثقافة جديدة دون الاستفادة من تجارب الماضي، وتجاهل أو إلغاء التراث ليس فقط يشكل خطرا على هوية أمة معينة، بل يمكن أن يؤدي أيضا إلى فقدان جزء كبير من التراث الإنساني المشترك، التراث هو جزء من المعرفة الإنسانية الجماعية التي تطورت عبر الزمن، والغاؤه أو تجاهله يضر تجربة البشرية ككل فهو يساهم أيضا في بناء جسر بين الأجيال، مما يسمح بالتعلم من تجارب الماضي وتطبيقها في الحاضر والمستقبل، وهو وسيلة لنقل القيم والمفاهيم من جيل إلى جيل مما يعزز الاستمرارية والتقدّم.

فالتراث ليس مجرد مجموعة من الممارسات بل هو عنصر أساسي في الحفاظ على التاريخ والتقدم الثقافي والإنساني، ومن هذا كله يمكننا أن نتساءل فيم تكمن أهمية التراث الشعبي في حياة الشعوب والأمم؟

1/ تكمن أهمية التراث كونه حلقة وصل بين الماضي والحاضر ممتدة في المستقبل، إذا هو "جدلية الماضي والحاضر"[2] فالتراث الشعبي يمثل تجسيد الاتصال بين الأجيال فهو ينتقل العادات والتقاليد والحكايات، والأمثال بين الماضي إلى الحاضر ويمنح الناس فهما لأسلافهم ويحتفظ بذاكرة الجماعة عبر الزمن ، بينما يحافظ التراث الشعبي على الروابط مع الماضي فإنه يتفاعل أيضا مع الحاضر، ويمكن أن يتكيف مع الظروف و الاحتياجات الحالية للمجتمع، مما يعزز صلاحيته وأهميته في

(1) عبد الحميد بوشراكي ،التراث الشعبي و المسرح في الجزائر مسرحية الأجواد لعلولة أنموذجا، مذكرة متمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، تخصص أدب حديث، جامعة باتنة ،1431 - 1432 هـ ،2010 - 2011 م ، ص: 11.

(2) عبد الكريم برشيد المسرح الاحتفال، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع، ليبيا، ط1، 1990 ، ص: 145.

السياق المعاصر، والتراث الشعبي ليس ثابت بل هو عملية ديناميكية تتضمن التجديد والتطوير، يمكن أن يتطور ويأخذ أشكالا جديدة بما يتناسب مع تغيرات المجتمع وتطوراته مما يعكس كيف أن الماضي يمكن أن يتعايش و يتجدد في سياقات جديدة ويساعد في الحفاظ على الهوية الثقافية والتمسك بالجذور وهو وسيلة لتعزيز الانتماء وتعريف الأفراد بجذورهم الثقافية في عالم متغير فالتراث الشعبي هو نقطة التقاء بين الماضي والحاضر، حيث يحفظ ويتجدد، مما يتيح للأفراد والمجتمعات الحفاظ على هويتهم الثقافية والتفاعل بمرونة مع التغيرات الاجتماعية.

2/ إنه بمثابة مستودع يمكن أن نستمد منه الكثير من البواعث والمتطلقات الحضارية والنفسية والروحية التي تحفز طاقتنا الجديدة لتصب في مجرى الإبداع الذي من شأنه أن يرفع طاقات الحاضر".[1]

يعتبر التراث مصدر من مصادر الإلهام يمكن أن يستمد منه الكثير من البواعث والمنطلقات التي تحفز الإبداع وتساهم في تطوير طاقات الحاضر ممّا يعزز من إمكانية تقديم حلول و ابتكارات جديدة تتماشى مع تطورات العصر، ويمكننا من "تعميق رؤية الإنسان المحاصر الذي يلجأ إليه كثير من الأحيان لصقل معارفه".[2] فالتراث يوفر منظورا تاريخيا وثقافيا يمكن أن يوسع فهم الإنسان للواقع من خلال دراسة الأفكار والممارسات القديمة، يمكن للمعاصر أن يحصل على رؤى أعمق حول تطور الفكر البشري وكيفية تأثير التجارب الماضية على الحاضر.

3/ والأهم من ذلك أنه "يحافظ على الأصالة في ظل المتغيرات الدولية، وفي ظل الحضارة ....، فينقل لنا كل ما هو جميل من العادات والقيم الحميدة من جيل إلى آخر، والمحافظة عليه هي محافظة على القومية والهوية والوطنية واللغة من التلف والضياع"[3]

(1) بوبرباح عثماني ، دراسات نقدية في الأدب الشعبي ، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي ،ط1 ،2008 ، ص: 13 9 .

(2) عفاف نتاري ، توظيف التراث الشعبي في المسرح الجزائري المعاصر -مسرحية غنائية أولاد عامر لعز الدين جلاوجي- ، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص الأدب المسرحي و نقد، جامعة ورقلة، 2013 - 2014 ،ص: 30 .

(3) عبد الحميد بورايو و آخرون ، الموروث الشعبي و قضايا الوطن ، مطبعة مزواد للنشر و التوزيع الوادي ، د ط ، 2006، ص: 47.

يتميز التراث بخاصية الثبات في ظل هذه المتغيرات، حيث ينقل العادات والقيم الحميدة من جيل إلى جيل إنّـــه جسر بين الماضي والحاضر، يعـــــزّز من التفاهم الثقافي والتنوع، ويبقى القيم التقليدية حيّة وملهمة في عالم متغير.

II. مفهوم العادات الشعبية وتحديد نشأتها وأهميتها وتفرعها

تتضمن العادات التقاليد المتبعة في المناسبات المختلفة، كالزواج، الولادة، الأعياد، والمناسبات الدينية، وكذلك الأساليب المتوارثة في الطبخ، اللباس، والعمل، و تُعد أوسع مجالات التراث الشعبي لأنها تشمل جوانب متعددة من الحياة اليومية للمجتمعات والأفراد. إلى جانب ذلك، العادات الشعبية يعتريها التغيير والتجدد دوما تبعاً للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مما يجعلها أكثر مرونة وشمولاً.

وليست العادات بمعزل عن باقي أقسام التراث؛ بل هي جزء متداخل مع باقي أجزائه تشمل جانبا من المعتقدات، القيم، والطقوس التي تنعكس في تصرفات الناس وتفاعلاتهم اليومية، مما يمنحها تأثيرًا عميقًا على الهوية الثقافية.، لكن هذا لا يمنع من أن لها جملة من الخصائص والتفرعات التي تحددها وتميزها عن غيرها من الموروثات الشعبية.

1- تعريف العادات وبيان نشأتها:

إن ممارسة الشي وإعادته على نمط واحد يشكل عادة ممارسة، ومنه العادة هي التعود على فعل الشي. وللوقوف على دلالة ملفوظ العادات عند الباحثين والعارفين وجب أولا ضبط حده اللغوي ثم اصطلاحا، للوصول إلى نشأته كظاهرة اجتماعية شعبية.

أ- تعريف العادات الشعبية

سوف نوجز تعريفا مختصرا للعادات الشعبية، مع تدعيمه بما سبق ذكره أعلاه في الجزء الخاص من أقسام التراث الشعبي.

1. تعريف العادات لغة:

أخذ لفظ العادات من الجذر الثلاثي "عود"، مفردها عادة ،وذكر تعريف العادة لغة عند:

- **ابن منظور** على أنها اسم مشتق من العودة، أو ما يعاد إليه وجمعها عادات وعيد... أنما العيد لما يعود إليك من الشوق، والرضا ونحوه... وتعود الشيء وعاده معاودة وعوادا واعتاده واستعاده وأعاده أي صار له عادة.[1]
- **أحمد مختار عمر** بيّن أن العادة من العود، نقول:" عادَ يَعود ، عُدْ ، عَوْدةً وعَوْدًا ، فهو عائد ، والمفعول مَعود. عادَ الشَّخصُ رجع . عاد بالذاكرة إلى الوراء... عاد أدراجَه: عاد من حيث أتى، عاد إلى رُشْده: وعَى، صحا، - عاد الأمر إلى نصابه: تولاّه مَنْ يحسن تدبيره، - عاد القهقرى: تراجع، - عادت المياه إلى مجاريها: عادت الأمور إلى أوضاعها السَّابقة، صلَح الأمر بعد فساد، زال سوء التفاهم، - عادت له الحياة: بُعث من جديد، ..."[2]
- **جبران مسعود**، بين أن العادة جمعها عادات وعوائد، وهي نمط من السلوك أو التصرف يعتاد حتى يفعل تكرارا من غير جهد : «عادة التدخين، عادة الكذب». وأيضا العادة: حالة تتكرر على نمط واحد : «عادة الحيض عند المرأة».[3]

من خلال هذه العينات المختارة للتعريف بلفظ العادة نجدها مع اشتقاقاتها اللفظية تحمل معنى التولي إلى أمر كان قبلا والتراجع نحو وضع سابق، ومنه التعود على الشي أي إيلافه وتكراره حتى تسهل ممارسته ويصبح مألوفا متداولا، وهو المعنى الذي تصب فيه الدلالة الاصطلاحية لكلمة العادات.

(1) - ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1971م، ص: 317.

(2) – أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (و ر ث)، المرجع السابق، ص-ص: 1570-1571.

(3) – جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، مادة (عاد)، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، مج 2، ط1، 1984، ص: 991.

2. تعريف العادات اصطلاحا:

تعدّدت التعريفات لمصطلح العادات ومن بين هذه التعريفات ما قاله إدوارد سابير: "العادة مصطلح يستعمل للدلالة على مجموع الأنماط السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة وترسمها تقليدا، وهذا ما يميزها عن النشاطات الشخصية التي يقوم بها الفرد."[1] فمصطلح العادات يشير إلى الأنماط السلوكية التي يتبعها الأفراد في مجتمع معين، والتي قد تكون متماثلة أو مشتركة بين أفراد هذا المجتمع، فالعادات تعكس القيم والمعتقدات التي تشكل جزءا من هوية المجتمع وثقافته، وهي تختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة إلى أخرى، وتمثل جزءا هاما من تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية.

كما نجد تعريف العادات عند إبراهيم بوتشيش "... تشتمل مختلف الأمور الحياتية من زواج وطلاق وطعام ولباس وقضايا جنائية، وغير ذلك مما يمس السلوك العام، وتتخذ مصدرها من سيرة الأجداد".[2]

فالعادات جزء مهم من تراث وتاريخ المجتمع، وتتأثر بالعوامل الثقافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية التي تحيط بالفرد والمجتمع بشكل عام، كما تأخذ العادات غالبا ما توارثها من جيل إلى آخر وتكون لها أصول تاريخية ترتبط بسيرة الأجداد وتجارب المجتمع عبر الزمن.

ويمكننا القول أن العادات مرتبطة بمختلف الأمور الحياتية للإنسان فهي تجسد طريقة أكلهم ولباسهم، وفرحهم وحزنهم وغير ذلك مما واجهتهم الحياة به. وعليه تعد العادات أوسع مجالات التراث الشعبي لأنها تمس كل مناحي الحياة اليومية .

(1): فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية ، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1980 ،ص:106.

(2): إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، دار الطابعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ص:238.

3. تعريف العادات الشعبية الاجتماعية:

اختلف الدارسون حول مفهوم العادات الشعبية باعتبارها ظاهرة اجتماعية وهذا لصعوبة التفريق بين فروعها وفي هذا الصدد يقول الدكتور "عبد العزيز عزت" "أنها موضوع عويص الاختلاف المفكرين الاجتماعيين في أمر تحديده بشكل واضح و جلي".[1]

فالعادات الشعبية اجتماعية، فهي موضوع معقد ومثير للاهتمام، تعرف على أنها أنماط سلوكية متكرّرة تتبعها مجموعة من النّاس وتنظم تفاعلهم و توجه سلوكاتهم في إطار اجتماعي معين ،و هي أيضا جزء من نسيج اجتماعي معقد يتأثر بالعديد من العوامل ،و أن فهمها يتطلب النّظر في التنوع الثقافي، التاريخي، و يعرفها "جلن و جلن" بأنها كل سلوك متكرر يكتسب ويتعلم و يمارس ويتوارث اجتماعيا".[2]

فالعادات الاجتماعية هي أنماط سلوكية متكررة يتم اكتسابها وتعلمها وممارستها داخل مجتمع معين، هذه العادات تنقل من جيل إلى جيل، مما يساهم في استمرارية القيم والعادات الاجتماعية ومن بين هذه العادات عادات التحية وطرق إجراء المحادثة وآداب المجاملة المختلفة كتقديم الهدايا أو إرسال برقيات في المناسبات السارة وطرق تناول الطعام وطرق الخطوبة والزواج و تربية الصغار وتشييع الأموات إلى مثواهم الأخير وإقامة الحفلات في المناسبات المختلفة.

يرى إدوارد سابير إن العادات الاجتماعية مصطلح يستعمل للدلالة على مجموع الأنماط السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة وترسمها تقليديا وهذا يميزها على النشاطات الشخصية التي يقوم بها الفرد[3] تعد العادات الاجتماعية جزءا أساسيا من النسيج الاجتماعي ،لأنها تساهم في تحديد كيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض و تعزز من الانتماء والهوية الجماعية.

(1) عبد العزيز عزت، "السلطة في المجتمع "، دار السلام للطباعة و النشر، القاهرة، 1999، ص: 4.

(2) فوزية ذياب ، القيم و العادات الاجتماعية ، المرجع السابق، ص: 106.

(3) إدوارد سابير، Guston". Encyclopédie of The Social Sciemce، ص: 106، نقلا عن: مجلة جامعة تشرين، الآداب والعلوم الانسانية ،المجلد43،العدد 4 ، 2021، ص: 410.

مما سبق يتبين لنا أنّ العادات الشعبية تعبر عن السلوكيات المتكررة التي تفرضها الجماعة على أفرادها والتي يتوقع منهم الالتزام بها وإلا فقد يواجهون الاستياء والسخط من المجتمع هذه العادات تشكل الأساس الذي يقوم عليه التراث الثقافي لكل بيئة اجتماعية و تساهم في تنظيم المجتمع و الحفاظ على استقراره.

ب-نشأة العادات:

إنّ النشأة الأولى للعادات الاجتماعية للعادات أو الطرق الشعبية فيرجعها البعض إلى الحاجات الضرورية الحيوية التي تتطلب الإرضاء والإشباع [1] فالعادات التي تلبي احتياجات معينة للفرد أو المجتمع -الاحتياجات الغذائية والاجتماعية والثقافية على سبيل المثال تناول الطعام والاحتفالات بالعيد- قد تكون طرقا لتلبية حاجات اجتماعية وروحية إذن لكي يتم إرضاء الحاجات الضرورية لا بدّ من قيام الناس إفرادا أو جماعات بأفعال وسلوكات وأساليب مختلفة من النشاط يغلب عليها المحاولات العشوائية وهذه الأساليب لا بد أن تتكرر قد تتطور العادات مع مرور الوقت لتلبية حاجات جديدة أو للتكيف مع التغيرات في المجتمع على سبيل المثال قد تتغير بعض العادات لتتوافق مع التغيرات الثقافية و الاجتماعية .

تعمل الأجيال على نقل العادات من جيل إلى جيل في شكل أعراف وعادات والحرص على احترامها فهي أصبحت ضرورية لسلامة البنيان الاجتماعي. وإن ما يصل للفرد من عادات ولاسيما إذا كان هذا يميل إلى فعلها و يستحسنها فإنه يود من غيره أن يمارسها أيضا فتستمر العادة من شخص لآخر، وإذا استمر هذا الميل من جيل إلى جيل آخر قوية العادة كثيرا.[2] كلما استمر السلوك والعادة من جيل إلى جيل ،كلما تعززت وتعمّقت هذه الثقافة في المجتمع، هذا يعني أن التأثير الذي يبدأ بفرد قد يمتد ليؤثر على الأجيال اللاحقة بشكل أقوى.

وهناك من يعلق أهميته خاصة على المحاكاة كعامل جوهري في نشأة العادات الاجتماعية إنّ وسيلة الإنسان إلى تكوين العادات الاجتماعية هي القوة الخفية للمحاكاة يضاف إليها شعور بالحاجة

(1)حسن الساعاتي، علم الاجتماع القانوني دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية مصر، د ط، ،1960،ص:128.

(2) المرجع نفسه،ص:128.

إلى الإشباع ففي البداية يتبع بعض الأفراد بالمصادقة نمطا سلوكيا معينا فإذا نجح هذا النمط في إشباع حاجاتهم وإرضاء ميولهم فإنهم يكررونها وهنا يحاكيهم باقي الناس ويمارسون باقي النمط[1] فالعادات الاجتماعية تتشكل من خلال المحاكاة والحاجة إلى الإشباع، ممّا يؤدي إلى انتشار النمط السلوكي وتأثيره على المجتمع بشكل عام.

2- تفرّع العادات الشعبية ومميزاتها

أ- تفرع العادات الشعبية:

يمكن تقسيم العادات والتقاليد إلى طائفتين أساسيتين متباينتين:

1. الطائفة الأولى:

تشمل العادات الجديدة المستحدثة مثل الموضات ما إلى ذلك ، تعتبر هذه الأخيرة حديثة النشأة و هي ظهرت نتيجة للتطور التكنولوجي و العولمة هذا الصنف فتح آفاق جديدة للتأثير والتفاعل مع الثقافات الأخرى ومثال على ذلك "الموضة" تعبر عن التأثيرات الثقافية و الاجتماعية التي تنتقل بسرعة بفضل وسائل الإعلام و التواصل الاجتماعي.

تشمل هذه الظواهر ليس فقط الأزياء و المظهر الشخصي بل أيضا السلوكيات و الأساليب الحياتية ، ومن الأمور الهامة هو التبني مقابل الوعي وهو التمييز بين التقليد الأعمى و الاستجابة الواعية،و يمكن أن يؤدي التقليد الأعمى دون وعي إلى انتقال السلوكيات دون فهم الخلفيات أو الآثار الثقافية والاجتماعية لذلك ،للحفاظ على هويتنا الاجتماعية والثقافية، يجب أن نمارس عملية الغربلة والتصفية بين الموضات والاتجاهات المختلفة،هذا يتطلب التقييم النقدي والقبول أو الرفض بناء القيم و المبادئ التي تؤمن بها، وبدلا من رفض كل جديد يمكننا استغلال التنوع الثقافي والتعرف على أنماط الحياة والتفاعلات الاجتماعية للثقافات الأخرى بشكل ايجابي و بناء.

(1) فوزية ذياب، القيم و العادات الاجتماعية المرجع السابق .ص: 118.

2. الطائفة الثانية:

تمثل كل العادات القديمة المتوارثة و المعروفة بالعادات التقليدية و تشمل هذه الطائفة بدورها العرف. يقول الدكتور "عبد الفتاح عبد الباقي" "العرف يتكون من ضمير الجماعة بطريقة لا نشعر بها ولا نحس، شأن العرف في هذا شأن قواعد اللغة وقواعد الأخلاق وغيرها من الأمور التي يخلقها المجتمع لنفسه بنفسه"[1] يمثل العرف جملة القيم و التصرفات التي يتبعها المجتمع دون توجيه واضح، وإدراك مباشر من قبل الأفراد فهو يتشكل من خلال تفاعل الأفراد داخل المجتمع، حيث يتم قبول أو رفض التصرفات والسلوكيات بناء على اتفاقات غير مكتوبة، يعد العرف جزءا حيويا من هوية المجتمعات حيث يساهم في تنظيم الحياة اليومية و الحفاظ على الانسجام الاجتماعي يطرق تفوق القوانين الوضعية المكتوبة.

إذن؛ فالعرف هو مفهوم يتداخل في بعض مضامينه مع العادات يتميز بسيادته وشموله في الثقافة حيث يشبه العادات في كونه متوازن وملزم، لكنه يتفوق عليها في درجة إلزامه وانتشاره في الجماعات الكبيرة، فهو يمثل جزءا هاما من هوية المجتمع ويعكس قيمة ومعاييره الاجتماعية، ويظل ملزما بقوة كبيرة حتى في ظل التغيرات الاجتماعية التي قد تحدث مع مرور الزمن.

ب- مميّزات العادات الشعبية

تتربع العادات الشعبية على عدة خصائص تحدد طبيعتها وهيئتها ضمن فروع التراث الشعبي منها:

1. التلقائيّـــــــــــة:

يقول العالم "سمنر" إن الطرق الشعبية ليست من خلق الذكاء الشري وليست من ابتكار التأمل العقلي الهادف و إن مثلها كمثل نتائج القوة الطبيعية التي يستخدمها الناس ويسخرونها لتحقيق أغراضهم دون وعي منهم"[2] تمثل العادات الاجتماعية تلك النمطية في السلوك التي تنشأ من حاجات وضروريات طبيعية وحيوية للناس داخل المجتمعات فهي تنبثق بشكل تلقائي وغير مقصود ،حيث تتكون داخل الجماعة بدون تفكير منطقي مسبق أو هدف معين يكون أساسها غالبا على التجربة

(1)عبد الفتاح عبد الباقي ،نظرية القانون مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1957،2 ، ص: 158.

(2) فوزية ذياب، القيم و العادات الاجتماعية المرجع السابق .ص: 120.

العملية والتكيف مع الظروف الاجتماعية والبيئية، العادات الاجتماعية تمثل جوانب أساسية في تنظيم الحياة الاجتماعية وتسهم في الاستقرار والتواصل بين أفراد المجتمع ،حيث تعكس استجابة الفرد لظروفه الاجتماعية بشكل تلقائي و غير مدرك بشكل كامل.

2. الإلزام و الحيويّـــــــة:

"إنّ العادات الاجتماعية بصفة عامة تعد كلها قوة ملزومة بمعنى أنها تتضمن بدرجة ما شيء من الإلزام والضغط على الناس، وذلك لأن الجماعة تراها التصرفات الملائمة السلمية والأصولية المؤدية لسعادة المجتمع. العادات الاجتماعية تعتبر قوى ملزمة تساهم في تنظيم الحياة الاجتماعية والحفاظ على استقرار المجتمع فهي تعد أساسا لتنظيم التفاعلات بين أفراد المجتمع وتحديد السلوكيات المقبولة وغير المقبولة، وتساعد في الحفاظ على النّظام و الاستقرار الاجتماعي في توفير إطار مشترك للتفاعلات اليومية والعادات الاجتماعية تمثل قوى ملزمة تعمل على توجيه سلوك الأفراد و تنظيم التفاعلات الاجتماعية بشكل يعزز التعاون والسلمية في المجتمعات، و تساهم في تحقيق السعادة والرفاهية الاجتماعية العامّة، إذن العادات الاجتماعية تجليّا للسلطة والجبرية داخل المجتمع حيث يتعين على الأفراد احترامها والامتثال لها كجزء من الاندماج والتفاعل الاجتماعي ،ممّا ساهم في الحفاظ على التوازن والاستقرار الاجتماعي .

3. الاتصال بالنواحي أسطورية وعناصر خرافية:

في العصر الحالي تظل الخرافات وأنماط السلوك المرتبطة بالتفكير الخارق تنتشر في مجتمعات مختلفة على الرغم من التقدم الهائل في مجالات متعددة، يمكننا ملاحظة هذه الظاهرة في ثقافات مختلفة،بما في ذلك الثقافة الجزائرية، حيث تستمر العادات الشعبية وتظاهراتها الدينية والروحية في الحياة اليومية على سبيل المثال هناك الكثير من العادات الشعبية التي مازالت تمارس إلى يومنا هذا مثل " سبوع المولود" حيث يستقدمون الأحجية والتمائم لحماية الأم والطفل، ويقومون بإشعال الشموع و إطلاق البخور والعطور، هذه الممارسات تعكس الاعتقادات القديمة في القوى الروحية والقدرات الخفية التي يعتقد أنها تحمي الأفراد من الشرور وتجلب الحظ السعيد رغم التطور التكنولوجي، لا يزال هناك إيمان واسع بقدرة هذه الطقوس على تأثير الواقع الذي يقدس الأماكن

والأشياء هذه العادات لها دور مهم في تعزيز الشعور بالأمان والراحة النفسية للأفراد في المجتمعات التي تحتفظ بها كجزء من هويتها الثقافية والدينية.

4. التنوع و النسبيـــــــة:

تتنوع العادات الاجتماعية منها ما يتناول عادات النّاس في تناول الطعام والشراب والملبس والمسكن، كما نلمس ذلك في بعض الأنشطة كالخطبة والزواج و الميلاد والوفاة وصلات القرابة ....

كما أنها تتميّز بالنسبية تختلف ممارستها من منطقة إلى الأخرى فما تعتبره منطقة ما مقبولا تعتبره منطقة أخرى مختلفا كما أنها تتغير من عصر ومن زمان إلى زمان، ومما يدل على ذلك مثلا "الفرق الكبير بين مدى النشاط المسموح به للمرأة الآن و بين نشاطها الذي كان مسموحا به منذ ثلاثة أو أربعة أجيال".[1]

إذن يعكس هدا التغيير في النشاطات المسموح بها للمرأة تطورا في المرافق الثقافية والاجتماعية نحو تحقيق المساواة بين الجنسين ،و تزايد التقدير لقدرات المرأة ودورها في المجتمع .

5. الرغبـــــة في التمسك بها:

من مميّـــزات العادات الاجتماعية "أنها في مجموعها مرغوب فيها أي محببة للنّاس ويرجع ذلك إلى تلقيتها، و شعور الأفراد بضرورتها، لتعاملهم مع بعضهم البعض، ولصالح حالهم واستقرارهم، كما يرجع أيضا إلى عملية التنشئة الاجتماعية التي تهدف إلى تشكيل الأفراد على الصورة التي يرتضيها المجتمع الذين يعيشون فيه، وتهيئتهم لتقبل الظواهر الاجتماعية السائدة فيه حتى يعزز التواصل والتفاهم الاجتماعي بين الأفراد، مما يساهم في استقرار المجتمع و رفاهية أفراده كما أن التنشئة الاجتماعية تلعب دورا مهما في ترسيخ هذه العادات، ممّا يساعد على التكيف مع قيم المجتمع وممارستها بشكل يتماشى مع التوقعات الاجتماعية، وهكذا تظل العادات الاجتماعية مؤيدة دون

(1) فوزية ذياب، القيم و العادات الاجتماعية، المرجع السابق .ص: 128.

مساندتها قانونيا فالواقع أن دعامة العادات قبول الرأي الجماعي لها و تمثيلها إياها و حرصه على مراعاتها بطريقة رسمية.[1]

3- أهمية العادات الشعبية وعلاقتها بالفرد و المجتمع

أ- أهمية العادات الشعبية

من المتعارف عليه أنه أي مجتمع منظم لا يمكن تصوره دون عادات اجتماعية والتي يعبر عنها علماء الاجتماع أنها الدعائم الأولى التي يقوم عليها التراث الثقافي في كل بيئة اجتماعية، فهي التي استمدت منها النظم والقوانين مادتها كما أنها القوة الموجهة لأعمال الأفراد وحياتهم [2] فالعادات تعمل كآليات لتنظيم سلوك الأفراد وتعبيرهم عن أفكارهم ومشاعرهم، بالإضافة إلى تحقيق الأهداف التي يسعون إليها.

يصفها "بيكن" بأنها المدير الأساسي لحياة الإنسان"[3] فالعادات الاجتماعية هي جوهر ثقافة أي مجتمع حيث تعكس القيم والسلوكيات التي يتفق عليها أفراد المجتمع كواحد، وهي عنصر أساسي لتنظيم الحياة الاجتماعية وتحديد سلوكيات الأفراد المجتمع، تعزز التكامل والانسجام بين أفراد المجتمع وتساهم في بناء بيئة تفاعلية و متكافئة داخل العينات والمجتمعات الاجتماعية.[4] هذا الدور يماثل دور القوانين الوضعية في المجتمع، حيث تساهم العادات في تحديد التصرفات المقبولة وغير المقبولة ، فإذا كانت القوانين الوضعية هي السلطة المكتوبة في المجتمع ،فالعادات تمثل السلطة غير المكتوبة التي تحفظ في قلوب وعقول الأفراد[5]،هذه العادات توجه سلوكيات الأفراد وتؤثر على تفاعلاتهم مع الآخرين في الحياة اليومية، فالعادات تظهر من خلال كيفية انتقالها وتمسك الأجيال بها من الآباء إلى الأبناء، مما يجعل الأفراد يلتزمون بها ويعتبرونها جزءا لا يتجزأ من هويتهم الاجتماعية، هذا التمسك يبين

(1) فوزية ذياب، القيم و العادات الاجتماعية، المرجع السابق .ص: 133.

(2)مصطفى الخشاب ، تاريخ التفكير الاجتماعي و تطوره، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، 1997، ص: 44.

(3) فوزية ذياب، القيم و العادات الاجتماعية، المرجع السابق .ص: 109.

(4) المرجع نفسه، ص: 88.

(5) مصطفى الخشاب، تاريخ التفكير الاجتماعي و تطوره، المرجع السابق، ص: 60.

مسؤوليتهم واحترامهم للعادات والتقاليد، والحرص على عدم الإخلال بها لتحقيق الانسجام والتقبل في المجتمع .

ب-علاقة عادات الشعبية بالفرد و المجتمع:

الحياة بنيت على قوى متضادة، مثل الموت والحياة، الفرح والحزن، النجاح والفشل ...هذا التوازن ضروري لفهم تجربة كل جانب بشكل كامل فكل طرف يساهم في تعريف وتقدير الآخر ممّا يثري التجربة الإنسانية ويمنحها عمقا ومعنى، حيث أن الإنسان يمر فيها عبر محطات هامة تمثل له جزء من دينية ودنياه، وجزء من كيانه وانتمائه لثقافة عربية إسلامية ،و الجزائر نموذج للتنوع الثقافي في كل ربوعها تشترك في المناسبة لكن لكل طريقته التي تميّزه عن غيره.

1. عادات الشعبية وعلاقتها بالفرد :

تتجسد علاقة العادات بالفرد في تلك مجموع الممارسات و الروتينات التي يقوم بها الأفراد يوميا والتي تؤثر بشكل كبير على جودة حياتهم و سعادتهم " فهي مناسبات اجتماعية تجمع الأقارب و الجيران في بيت صاحب الحفل ،فيه نؤنه، و يشاركونه في إقامة مراسم الزواج و الختان و يجمع النّاس و الشباب في بيت آخر فتعم البّهجة و السرور1 فالعادات الاجتماعية التي تشمل المناسبات التي تجمع النّاس معا للاحتفال بمناسبات خاصة مثل الزواج والختان طقوس الموت"الدفن" تعزز من الروابط الاجتماعية و تجعل الحياة أكثر بهجة وسرور.[1]ت

تتمثل أيضا في العلاقات الأسرية بين أفرادها القائمة على الاحترام و طاعة الوالدين، وكذا المبادئ، والقيم الحميدة "كما تعد طاعة الوالدين من الأمور التي حرص الإسلام وركز عليها لتبقى هذه القيم الدينية متوارثة بين الأجيال أبا عن جد كيف لا والثقافة الدينية هي جزء لا يتجزأ من المخزون الثقافي للكثيرين ...."[2]

(1) عبد الحميد بورايو،القصص الشعبي في منطقة بسكرة {دراسة ميدانية} سحب الطباعة الشعبية للجيش ، ط 2007، ص: 20.

(2) عبد الحميد بوسماحة : توظيف الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن صدوقة ، دار السبيل للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دط 2008 ، ص: 33.

تعد طاعة الوالدين من القيم الأساسية التي حرص الإسلام على تأكيدها و تعزيزها،و هي تعتبر جزءا جوهريا من العادات الدينية التي تورث من جيل إلى جيل، إن الثقافة الدينية هي جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي للعديد من الناس، حيث أن الدين يشكل إطارا قيما و أخلاقيا بشكل عميق على سلوكيات الأفراد وأنماط تفكيرهم .

2. عادات الشعبية وعلاقتها بالمجتمع :

تحتفل الأمم و الشعوب في أرجاء المعمورة كلها بالعديد من المناسبات و الأعياد الدينية أو الوطنية أو العالمية التي تترك وقعا في وجدان محبيها و لكل مناسبة ذكرى تاريخ عريق ،و مكانة عظيمة في مجتمعاتها، ليس لكونها عادة من العادات الوطنية التي تمارس دون هدف ورؤية أو اعتقاد أو مجرد التذكر بعد النسيان ، بل يحتفل بها لأن خلفها تقف مشاهد وذكريات ومواقف عظيمة لا يمكن نسيانها واسترجاعها ما هو إلا تمجيد لأيام في تاريخنا المشرق و حوادث من الزمن نادرة.[1] فلكل مناسبة تاريخ طويل في مجتمعها ومعنى عظيم عند شعوبها، يخرجها من كونها مجرّد تقاليد تمارس دون وعي أو هدف، بل إنها تحمل في طياتها تجارب إنسانية عظيمة لا تمل ولا تنسى، تجعل الاحتفال بها هو تمجيد لأيام المجتمع الخالدة وعرفانا باسترجاع أحداث من زمنه الأصيل النادر.

يتبين لنا مما سبق القيمة الكبرى للعادات، وكيف أنها تدخل في جميع نواحي الحياة الاجتماعية، وهذا ذكره أفلاطون في كتابه "القوانين" بضرورة احترام العرف و التقاليد والعقائد والطقوس الدينية لأن هذه الأمور تكوّن مجموعة من القوانين غير المكتوبة، فهي الدستور غير المدون، والذي لا يقل شأنا في حياة المجتمع عن الدستور المكتوب، وهي فوق ذلك المعين الأول الذي تستقي منه التشريعات والقوانين الوضعية مادتها وأصولها الأولى."[2] تعتبر العادات أساس لتنظيم الحياة الاجتماعية، ونؤكد على دورها المهم في إرشاد الأفراد و توجيه سلوكهم، بما يعزز من التعايش السلمي والاستقرار في المجتمعات .

(1) مُحَمَّد بن سعيد القسطي ،لماذا نحتفل بالأعياد الوطنية ؟ جريدة الوطن صوت عمان في العالم ... يومية سياسية جامعة نشرت بتاريخ 16 نوفمبر 2015 ،08 04 2016 ،على الساعة 16:00 .

(2) مصطفى الخشاب، تاريخ التفكير الاجتماعي و تطوره، المرجع السابق، ص: 60.

الفصل التطبيقي: الثابت و المتغير في العادات الشعبية الجزائرية

- **تمهيد:**

من خلال هذا الجزء عزمت على تحليل بعض العادات الاجتماعية الجزائرية المختلفة عبر أقطار الوطن بالتركيز على منطقة الطارف بالرغم من أن الموضوع يحتاج إلى دراسة أعمق وأدق من هذا فقد حاولت رسم صورة لهذه العادات بين الماضي والحاضر ، حتى نرى مدى تغيير هذه العادة من ثباتها ،وكشفت فيها عن بعض الملابسات و ما اتصل بها من عوامل ومؤثرات أدت إلى ثباتها أو تغييرها مع الحكم على نوعية التغيير سواء كان داخلي أو خارجي كل هذا في ظل عصر عرف فيه التفكير البشري تطورا هائلا، ويبقى في هذا الجزء أنني اعتمدت بصفة أكبر على ذاكرة كبار السن وغصت معهم في ماض كان جميلا بالنسبة لهم مع نسيان بعض التفاصيل وصعوبة لسرد الأحداث بدقة إلا أنه استطعت أن أقف على عدة نقاط أرجو الاستفادة والإفادة منها .

وعليه سنحاول في هذا الجزء أن نحلل ونبسط الرأي في بعض الموروثات الشعبية لمناطقة مختلفة من ربوع الجزائر خاصة منها منطقة الطارف، لنكتشف تلك التي لمسها التغيير وتيار التجديد وتلك التي استطاعت أن تثبت أمام كل هذه هي التحديات.

I. عادات متعلقة بالمرأة والطفل:

1- عادات متعلقة بعروس ومدى تغيرها وثباتها:

يعد الزواج ظاهرة اجتماعية في كل المجتمعات قديما وحديثا فإلى جانب أنه تلبيه لحالة بيولوجية وخاصية فطرية لاكتمال حياة البشرية واستمراريتها فهو ثقافة مختلفة من حيث سلوك تأديته وتطبيقه مما جعل الزواج مما جعل الزواج ظاهرة اجتماعية محاطة بعده عادات وتقاليد وطقوس الاعراف متنوعة من جيل إلى جيل ومن مجتمع لآخر لأن جل العادات يكتسيها عنصر التغيير فإن المتتبع لعادات الزواج في الجزائر سوف تصل إلى نقطة من الانعطاف في مسار تطبيقها، فتجيء بين الثابت منها والمتغير، وهذا الذي سوف نقف عليه في هذه الجزئية من البحث محاولين تحديد عوامل ذلك.

أ- عادات اختيار العروس

ليس من الصعب أن نقف على بعض عادات اختيار العروس من أسلافنا، ذلك أن أجدادنا ما زالوا يحدثوننا عن كيفية اختيار الزوجة متأسفين عن التغيير الملحوظ اليوم، تقول الحاجة حدّة "بكري كانت الأم تروح تخطب لولدها من الفاميليا ولا من عيلة معروفة، هي إلي تخيرها على هواها، وكانوا يحبو على المرا الحاذقة والي بصحتها وتبان كاملة"[1] تضيف "كان عندنا عيب الرجل يخير المرا تخيرها أمه كيما تستحقها هي، وهو يشوفها نهار العرس كي تجيها عروسه ويرضى بها."[2]

في حوار آخر مع الحاجه فتيحة تؤكد أن اختيار الزوجة قديما يتم من طرف العائلة (الأب أو الأم أو كبيرة العائلة أو الدوار) فالزوج لا يراها إلا ليلة الزفاف ،تعيش مع أهل الزوج وكبير العائلة هو من يسير أمور البيت، لكنها تستدرك في قولها أن" اليوم كاين من الشباب إلي يبعث أمو تخيرو وتخطبلو مرا على ذوقها يبني بيها الدار، لكن لكثير منهم في زماننا هذا يختارو وحدهم، الأم والأب يخطبوهالو برك، وزيد الأم تقلك يخير على روحو باه يتحمل مسؤولية خيارو خصوصا أنو الأولاد

1 -. فتيحة عزيزي،77 سنة ، ربة بيت، العقلة ولاية ،تبسة.

2 -. ،المرجع نفسه.

اليوم قاريين وفاهمين ماشي كي ذرية بكري يحشمو من الوالدين، و هذا الزمان صعيب كثر فيه الطلاق"[1] يظهر لنا أن بعض المناطق المحافظة ما زالت محافظة على الكثير من العادات في اختيار الزوجة حيث أن الأم أو الأهل هم الذين يختارون عروس ابنهم وينتقونها بحسب المواصفات التي توائم العائلة، ولا زال هناك نفس التقاليد المتعارف عليها قديما في انتقاء العروس من قدراتها ومهاراتها في اشغال البيت وكمال جسمها وجمالها إلى جانب حسبها ونسبها بل أن الكثير من العوائل تخطب لأبنائها ما يتناسب مع مكانتها الاجتماعية فالفقير لا يتزوج من الغني والغني لا ينخفض إلى مرتبة الفقير في النسب، ومن هنا تكون الكثير من المتطلبات في اختيار العروس سابقا مازلنا نلاحظها اليوم ولو بنسبة ضعيفة، وحتى نحكم على تغيير العادة من غيره فإن هذا يلزمنا أن نتتبع هذه الظاهرة في رقعة جغرافية معينة، ونرى مدى التغيرات الحاصلة عليها، وهذا الأمر صعب يتطلب خبراء ودارسين عارفين في هذا المجال.

عند تحليل عادة اختيار العروس وربطها مع واقع اليوم فأننا نجدها تظهر ثابتة مع بعض التغيرات الطفيفة عند عينات من العوائل المحافظة التي تقطن المناطق الداخلية أو المناطق الريفية الأقل تجذرًا في الحداثة والأقل تمسكا بالتمدن، بينما المناطق التي تماشت مع ظروف العصر وتغيراته ومستجداته مثلا المدن السياحية سنجد اختلافا كبيرا في عادة اختيار العروس، تقول السيدة جناة عبد الصمد من منطقه الطارف أن اليوم الرجل يأتي بزوجته في يده ويفرضها على العائلة، عكس السابق تقول" في يامنا ذرية الوقت يدخل بعروستو في إيدو ويقلك زوجوهالي، لا نعرفو ساسها من راسها"[2] ، بينما أكدت السيدة خياري لطيفة من منطقه العقلة ولاية تبسة أنه إلى اليوم ما زال الكثير من الشباب الراغبين في الزواج يتكل على عائلته في اختيار زوجته ولا يعارض رأي والديه في انتقاء العروس تقول:" مازلنا لليوم نخيرو لعروسة ونخطبوها بشهوتنا ومالها يمدوها كان رضو بلعريس ولا يشاورو لا للعريس ولا لعروس"[3] ، وتضيف نفس السيدة " وكاين عيلات أخرى خصوصا القاريين

1 - فتيحة عزيزي،77 سنة ، مرجع ساب..

2 جناة عبد الصمد،68سنة، متقاعدة، ولاية الطارف.

3 لطيفة خياري، 66 سنة، ربة بيت، العقلة، ولاية تبسة.

يخلو ولادهم على شهوتهم، هما إلي يخيرو يقلولك ماشني راح نسكن معاها هو إلي راح يعيش عمرو معها يتحمل خيار ايدو رايو"[1]

أن الأمر ليس ثابتا في كل الأسر، بل أن أكثر الشباب اليوم يختارون العروس بأنفسهم، وهذا لأنهم أصبحوا أكثر نضوجا في الشخصية عن أولئك الذين يعتمدون على اختيار الأهل، فأغلبيتهم على المستوى الثقافي الذي يؤهلهم لبناء الشخصية المستقلة المعتدة بذاتها، والمثبتة لآرائها ووجودها ، وكذا المحيط الأسري متشبع بهذه المواقف يشجع أفراده على تكوين الذات المستقلة ويسمح بهامش الحرية التي تجسد الخصوصية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تنصل الوالدين من مسؤولية الاختيار كي لا يحملان عاقبته، لذا يتركان الأمر في يد ابنهم لأنه هو الذي سيقضي باقي حياته معها وإن أخطأ في اختياره فعليه وزره. بينما الأفراد المحافظين الذين لا يخرجون على طوع أهاليهم أغلبهم من الطبقة الأقل حظا في التعلم والتوظيف، ومن مناطق أكثر انغلاقا على نفسها.

الجدير بالذكر أن العادات الشعبية التي تمارسها المجتمعات ليست متغيرة تغييرا تاما ولا ثابتة جامدة، إنما هي بين مد وجزر؛ يعتريها التغيير كلما أثبت المجتمع ابتعادها عن المنطق والعلم وعدم توافقها مع متطلبات العصر ومستجداته، فتكون بالنسبة له غير منطقية وأسلوبا غير صحيح في سلوك المجتمع، ولو عدنا إلى تلك العادات المتغيرة والتي أصبحت غير ممارسة بصورة شائعة وكبيرة في المجتمع سنجدها أنها إما مناقضة للعلم أو للدين أو لا تتماشى مع تطور العصر من ذاك سابقا مركب العروس[2] كان دابة يتبعه أهل العرس مشيا على الأقدام أما اليوم فموكبها أصبح بأفخم السيارات.

وقد تَثْبُتُ بعض العادات لوجود رابط الحميمية، والتأصيل المجتمعي الذي يقر بها على أساس أنها عنوان هويته، وأصول تكوينه من أجداده، واجب المحافظة عليها وممارستها لإثبات التميز عن الغير، كارتداء الألبسة التقليدية[3] في احتفالية الأعراس (البرنوس، العمامة، الشدة التلمسانية، قندورة الفرقاني والقبائلية والشاوية...)

1 لطيفة خياري، 66 سنة، ربة بيت، مرجع سابق.

2 ينظر الملحق.

3 ينظر الملحق

ب- عادة الزواج المبكر:

قديما كان الزواج في سن مبكرة جدا تقول الحاجة .فتيحة" كانو بكري يخطبو لمرا صغيرة خلاص باه تتربى في دار شيخها، وتطبع على طباعهم، واليوم توصل الطفلة حتى 40 سنة وما تتزوج والامر عادي"[1] أثبت هذا القول أن معيار الزوجة الصغيرة في السن لم يعد مطروحا مثل السابق، وهذا لأن المرأة لم يعد ينظر إليها فقط كربة بيت؛ بل أصبح لها الحق في التعليم والعمل وممارسة هوايتها، ومن ذاك تقضي أعواما وهي تكوّن شخصيتها المنفردة عن الرجل، والمستقلة عن سلطته، تثبت ذاتها في المجتمع كعنصر فعال فيه. " وتجدر الإشارة إلى أنه في الماضي كان الزواج المبكر للذكور و الإناث هو السائد في الأقطار العربية و كان سن الزواج مقرونا بسن البلوغ . وكانت الفتاة العربية تتزوج في سن التاسعة أو العاشرة،... أن سن الزواج خضع لتغييرات عديدة عبر تاريخ البشرية، وهو بذلك يستجيب لطبيعة الحياة الاجتماعية و الاقتصادية"[2] ومن هنا نجد أن معيار سن الزواج للمرأة أصبح بعيدا عن المفهوم القديم الذي يرى أن أصلح عمر يكون قبل سن العشرين – ما يسمى اليوم زواج القصر-، بينما اليوم نراها تصل إلى سن ما بعد 30 وهي في عنفوانها وما زالت فرص الزواج أمامها متاحة كما بنت العشرين سابقا.

لهذا نرى أن المسألة لا تتعلق بوجوب التمسك بأي عادة لأنها تثبت هوية المجتمع؛ إنما الواجب تعديل تلك التي لا تسلم لمنطق، وتبتعد عن الفكر المعتدل، ولا تخدم متطلبات المجتمع، وتغييرها حسب ما يتماشى والعصر، وحسب تطوراته العلمية والفكرية، فالأعراف السائدة سابقا عن وجوب الزواج في سن المبكرة بالمنظور العصر فاسدة، لأن الفتاة تكون قاصرًا تحت السن القانوني للزواج، وهو زواج مرتفع النسبة في كثير من الأحيان في المناطق الريفية يقدر بـ(4.2٪) مقارنة بالمناطق الحضرية يقدر ب(2.5٪) لنخلص أن النساء المتزوجات قبل سن 19 سنة هن نساء من مناطق ريفية دون مستوى ثقافي يعشن في المناطق الغربية من الوطن أو الجنوبية، ولم يتجاوزن مستوى

1 -فتيحة عزيزي، المرجع السابق .

2 - نورالدين بن زيان و.طلباوي الحوسين، ظاهرة الزواج المبكر كممارسة تقليدية من أجل إعادة إنتاج الهوية داخل الأسرة في المجال العمراني الحضري: (بلدية تبسبست بدائرة تقرت ولاية ورقلة نموذج)، جامعة ورقلة، ص: 129. الموقع الإلكتروني: https://dspace.univ-ouargla.dz على الساعة: 22:40 .

التعليم الابتدائي غالبا .[1] فلم يعد زواج المرأة مربوطا في يومنا بسنها، ولكن باستعدادها وموافقتها عليه إلى جانب تكوين شخصيتها وذاتها، لهذا فنساء كثيرات متعلمات تحررن من عقدة ربة بيت، ووجوب تطبعهن على طبائع بيت زوجها، لتمام شخصياتهن الأنثوية الواعية والمثقفة. فتفرض المرأة ذاتها في أي محل تتواجد فيه، سواء في العمل أو في البيت، بينما سابقا الزوجة أو الكنة كانت مسيرة، تلبي مطالب زوجها وعائلتها في خنوع، واليوم فهي سيدة في بيتها قراراتها تملأ أرجاء بيتها، وتسيّر أطوار حياتها.

من هنا نجد أن مفهوم المرأة والزوجة قد تغير عن ما كان عليه عند أجدادنا، أدناه أن المرأة سابقا كانت تابعة للرجل ترى من منظوره، أما اليوم فهي مكملة له عضو فعال في المجتمع لها تمام الحضور المجتمعي كما الرجل. مما استوجب تغيير العديد من العادات التي تهمش المرأة كعادة وجوب الزواج في سن مبكرة.

أيضا من خلال المقولات السابقة نجد أن هناك الكثير من العادات السابقة ما زالت تمارس لحد اليوم في اختيار الزوجة، منها مثلا توكيل الأم بالبحث عن الزوجة المناسبة، وبعض المعايير والشروط الواجب التوفر فيها، كأن تكون ممتلئة طويلة بيضاء إلى غير ذلك من هذه الشروط المتغيرة من حين إلى آخر، فلا زالت بعض العوائل لحد الآن تعمل بهذه المعايير، وتسير عليها ومن هنا تكون عملية التغيير في العادات والتقاليد الممارسة في اختيار الزوجة بين أخذ ورد، فهي ليست متغيره تغييرا تاما، ولا ثابتة ثباتا قطعيا، إنما قد يشوب بعضها تغيير عام على مستوى الممارسة المجتمعية، فيكون أغلب الأفراد تخلوا عنها، بينما تمارسها الاقلية من المجتمع.

كما يمكن أن تثبت هذه العادات بأن تمارس عند الأغلبية وتتجاوزها الأقلية، من ذاك نجد مثلا عادت الحنة العروس [2] التي لا تخلو منطقة من مناطق الجزائر إلا وتمارسها في طقوس و مراسيم الزواج، وإن تغيرت طريقة ممارستها بين الماضي والحاضر، إلا أن العادة في حد ذاتها مازالت قائمة لحد اليوم، ومن هنا نقول أن التغيير قد يحصل في بعض العادات ويشملها فتزول وتتلاشى كعادة الوشم للمرأة في وجهها وباقي جسمها[3]، أو يلامس التغيير بعض طقوس ممارستها، فتتحوّل مع المحافظة على وجودها.

1 مؤسسة من أجل المساواة، مرافعة ضد زواج الأطفال في الجزائر، بدعم من سفارة كندا بالجزائر، 2016، ص، ص: 09، 12.

2 ينظر الملحق

3 ينظر الملحق

2- عادات عن الوحم وما بعد الولادة والختان:

توجد العديد من العادات ف التي تحيط بظاهرة الوحم وحالة الولادة عند النساء أحاطها أجدادنا بالعناية وبعض الممارسات، لم تعد تمارس كما في السابق ومنها ما رسخ واستمر قائما ليومنا هذا.

أ- **عادات عن الوحم:**

يمثل الوحم ظاهرة كثيرا ما تحدث للمرأة الحامل في الثلث الأول من الحمل فتشعر برغبة في أكل نوع معين من الأطعمة أو الفواكه وغالبا ما تكون أصناف نادرة وفي غير موسمها كأن تشتهي أكل العنب أو البطيخ في فصل الشتاء.

-وقد جرت العادة بأن تلبى طلبات المرأة الحامل كاملة تحكي الحاجة فتيحة وتقول :لازم لمرا لتتوحم الفاميليا الكل نوقفوا علاها وعلى مكلتها ،الحاجة لي تجي في بالها وفي خاطرها لازم نجيبوهالها على خاطر كون متوكلهاش لقدر ربي تخرج في مزيودها، والمندبة لكبيرة لخرجت في وجه وظهرت طفلة، ولازم نساعفوها على خاطر كل لمرا وكيفاه، كاين حتى لي يجاها لوحم خايب تكره فيه لعباد بالأخص راجلها،ولا واحد من الدار " [1]

وتضيف الجاحة فتيحة إلى كلامها: "الناس كل توله بالمرا لعيانة ولي تقول عليه نديروهولها والمنظر لقبيح لازم متشوفوش حشاك كيما لحمير ولا قرد ولا خلايق مشوهين نخافو كون تشوف منظر كيما هكا تجي في المزيود لازم تشوف غير الحاجة المزينة ، ونبعدوها على القصرة لي فاها الضحك على الناس أو ذاك قصير أو سمين أوكحلوش ،بصح ذرك النسا عايشة وحدها تتوحم واحدها بينها بين راجلها لامن داري باها" [2]

يعد الوحم ظاهرة طبيعية للحامل إذ يتمثل في" الرغبة الشديدة لدى المرأة الحامل بتناول بعض أنواع الطعام، ولأن الحمل يعتبر أحد أهم التحولات الجسدية التي قد تمر بها المرأة، فإن كل جزء من الجسم وكل سلوكياته ستتغير بطريقة أو بأخرى، بما فيها الشهية؛ حيث ستتغير نظرة الحامل لأنواع الأكل تماماً، ما بين اشتهاء أطعمة معينة والنفور من أطعمة أخرى." [3] وفُسِّر الوحم بنقص المواد

1 فتيحة عزيزي ،المرجع السابق.

2 المرجع نفسه.

3 وحام الحامل/ Pregnancy Craving ،صفحة الطبي، الموقع الإلكتروني: https://altibbi.com على الساعة: 11:50.

الغذائية في جسم الحامل مما يستدعي طلبها في أنواع الغذاء، وأيضا تذبذبات هرمونية أما يرتفع تركيزها أو تنخفض، وهذا ما يجعل المرأة تطلب أنواع من الغذاء وتشتهيها وقت الحمل ومنها ما يكون غريبا كأكل التراب أو الفحم...

لعل المعاين لواقعنا اليوم يرى أن المرأة الحامل ما زالت تلقى نفس العناية من ذويها، تلبى جميع رغباتها، دون اعتراض، بل يجد الزوج والأهل في إيجاد ما تطلبه ولو لم يكن في موسمه، وهذا طبعا خوفا من أن يجيئ المولود بتشوه خلقي يعتقدون أنه جراء عدم تلبية رغبة الحامل فترة الوحم، فرغم التفسيرات الطبية المنتشرة والشارحة لظاهرة الوحم لإلا أنه ما زال هناك تخوف كبير من أثره على الجنين فلم تتغير عادة التعامل معه عن السابق، الذي تغير عن تصورات أجدادنا سابقا ولم يعد بنفس الحدة المغالاة من التخوف، فحين تقول الراوية" ونبعدوها على القصرة لي فاها الضحك على الناس أو ذاك قصير أو سمين أوكحلوش ،بصح ذرك النسا عايشة وحدها تتوحم واحدها بينها بين راجلها لامن داري باها" [1] بمعنى أن أي تصور لهيئة ناقصة أو قبيحة قد تطبع على هيئة المولود وهذا لا يحتكم لمنطق العقل ويبتعد عن الوازع الديني، ولم يعد يعتقد فيه بنفس الحدة كما في السابق، ثم أن الملاحظ اليوم أن العناية الطبية و الاستقلالية في الأسر تجعل العائلة النواتية هي التي تهتم بشؤونها فلا تتدخل العائلة الكبيرة إلا للتهنئة بالحمل وميلاد المولود.

ب- عادات ما بعد الولادة :

بعد تسعة أشهر من الحمل وبعد الكثير من الآلام والمعاناة تحين الساعة التي تضع فيها الحامل مولودها وعلى الرغم من صعوبة وخطورة الموقف إلا أنه حلم كل امرأة. وسوف نستحضر بعض العادات التي كانت تمارس على المولود والمرأة بعد الولادة، ونسوقها في المقولات الآتية:

- ✓ تقول لطيفة :"بكري كانت لمرا تولد في الدار أنا كي قوا عليا لجاع عيطت عزوزتي على خالتي نوا، خالتي نوا هذه مرا كبيرة وفحلة تولد نسا ،لا روحو لسبيطار لانسمعو بيه قالت لعزوزتي سخنيلي الماء وتعملت على ربي والحمد الله سلكت على خير في لول والثاني والثالث بسلامتهم عندي ستة

1 فتيحة عزيزي، المرجع السابق .

ولدتني بيهم كل خالتي نوا ربي يرحمها ،بكري نولدو في الديار ونجيبو ستة وسبعة وذرك يولدو في السبيطارات ويجيبو واحد وزوز. "[1]

- ✓ وفي حوار آخر مع الحاجة زهية تقول " لي مزالت عندنا اليوم الصغير كي يولد أذنولو في وذنو ويقمطوه ويحطوه في السرير، وكانوا بكري -بصح توا مبقتش- يجيبوا مرا ضحاكة زهوانية- تغسلوا قشاتوا باه يجي زيها، ويكحلولوا عينيه وحواجبوا وتعصرلوا أمو قطرات حليب في عينوا على خاطر الصغير كي يخرج من كرش أمو عينيه حشاك يهزوا لخماج "[2]
- ✓ تخبرنا الصالحة بأن:"لمرا غير تولد نسموها نافس نطيبولها قهوة سخونة تفيق باها تنحي باها تعب لولادة ونطيبولها بركوكش بالحلبة والفرماس والكليلة والقديد...باه يديرلها لحليب ونحنولها يداها ورجلاها ونحزموها بزام باه مطيحش كرشها وتقعد في الفراش سبعة يام ومتقربش لصابون ولما لي فيه الصابون باه ميقسهاش جنون بصح نسا توا ماتنفس مايسما نفاس منهارها ولدها عند أمها وهي في الزقاق كي تبقى سمانة في دارها راهي مرا حتى كي تخرج من السبيطار تحوس على كسكروت شورما"[3].
- ✓ وفي حوار آخر مع الحاجة حورية من ولاية الطارف حول تسمية المواليد الجدد قديما :"ماكانتش لمرا يخلوها تسمي ولدها ولا بنتها كان يسميه باباه ولا جدو ولا جداه وكانوا يسموه إذا كان طفل على اسم جدو وإذا كانت طفلة على اسم جداتها ولا يسموه على مناسبة من المناسبات عاشور،العيد،المولدي.....ولا اسم ولي من الولية الصالحين ،وبعد سبعة يام من نفاس نديرو سبوع، وعلاه سبعة يام على خاطر لملايكة سبعة يعسوا على الصغير من نهار لي جا فيه للدنيا، في نهار ذاك يلسوه لبسة جديدة والنافس هي ثاني تلبس وتتزين ويديرو الزريرة والقهوة ويطيبو الكسكسي ونسا لحاضرين يمدولهم الكحل والسواك والسبوع تاع الذكر يكون أكبر من تاع الطفلة، ولكان كانت طفلة يثقبولها وذنها في نهار هذا بعد ما يوكلو الناس جدة المولود تفرق الكسكسي

1 لطيفة خياري،المرجع السابق

2 زهية رحال،68سنة،تبسة.، ولاية تبسة

3 صالحة خياري، 67سنة،العقلة، ولاية تبسة.

واللحم على الجيران لي محضرو،وهما يرجعوا الصحونة معمرة بالسكر أما اليوم السابع ولا حاجة أخرى قاطوات مشكلة وملونة وهذه مملحات كيما تقول بنتي وعرضات حتى ربي رفع براكتو" [1].

تحمل هذه المقولات بعض العادات الذين التي ما زالت تمارس ليومنا هذا، مثل الوليمة وتهوي بعض الأطباق التقليدية الكسكسي وإقامة العزائم فرحا بالمولود، ولباس المرأة النفساء ومولودها الجديد ألبسة جديدة، كذا إحياء مراسيم يوم السابع كما مازلنا نسمع بأسماء لأطفال صغار على أسماء أجدادهم أو المناسبات الدينية ، كلها ما زالت تمارس ليومنا هذا، ونحن نعيشها في أهالينا، وإن تباينت حدة ممارستها، وطرق إحيائها، إلا أننا مازلنا لحد اليوم تخضب يد وقدم المرأة بالحناء، ونشد بطنها بالحزام، نقمط المولود، نفسر هذا في اعتقادنا لأنه لا تضر بالصحة المرأة ومولودها، ولا يرفضه منطق الفكر والعقل والدين وكذا تبركا بالأجداد وتفاؤلا بالخير.

نقيضا لما جاء أعلاه، تعج المقولات بالعديد من العادات التي ربما الكثير منا لم يعرفها قبلا، ولم يسمع بها، لأنها لم تعد تمارس في مجتمعنا الحالي وإن مورست فهي في تلك المناطق التي ما زالت تعتد بالعادات والتقاليد وتعتبرها شيئا مقدسا لابد من إحيائه، واستحضاره مع مناسبته. فمقولة إحدى الراويات بأنه مثلا نكتحل للصغير، وقول الأخرى أنه تثقب أذن المولودة البنت يوم السابع من ميلادها، هذا لم يعد موجودا بصورة كبيرة، إن لم نقل هو آيل للاندثار، لأن كل الأسر اليوم والمجتمعات برمتها تعلم جيدا أن الوقاية والمعالجة الطبية هي الطريقة الأسلم للرعاية الصحية السليمة، وعليه فالتخوف من حصول مكروه للمولود يجعلهم يعدلون على إحياء هذه هي العادة.

وكذلك نجد العدول عن بعض العادات التي تعتقد في وجود عالم الشياطين والجن، فلا يجب كما تقول الراوية صالحة خياري للمرأة النفساء أن تلمس الصابون حتى لا تمس من عالم الجن، وفي نفس السياق تؤكد الراوية حورية بوزربية أن إحياء مراسيم يوم السبوع وهو اليوم السابع من النفاس يعود حسب الفكر الشعبي المتوارث إلى أن سبع من الملائكة تحرس المولود، يعد هذا من الاعتقادات التي لا مفسر لها، ومن الخزعبلات التي احاطت ببعض معتقدات الفكر الشعبي، ذلك أنها تعتقد في العالم الغيبي، وأنه يتحكم في حياة الإنسان. أما الفرد المعاصر اليوم يؤمن بأن حياة

1 حورية بوزربية،80سنة،عصفور،الطارف

الإنسان مقدرة من الله وميسرة بحكمته وهذا راجع لتطور الفكر البشري وانتشار الدين الإسلامي، وارتفاع الوعي المجتمع وارتقاءه.

لو بحثنا في مسوغات التي عملت على تغيير حدة عادة الاهتمام بالوحم الولادة سنجد:

- التغير الفكري في مفهوم الأسرة والعائلة فإن كانت "الأسرة في المجتمع الحالي هي امتداد طبيعي للأسرة في الزمن القديم مع بداياتها الأولى [إلا أنها وحدة] كبيرة الحجم ثم أخذ يضيق نطاقها وحجمها شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى هذا الحجم من الضيق الملموس اليوم"[1] وهذا التقلص في حجم الأسرة سيكسبها خصوصية وتفرد في نمط المعيشة.

- التطور الحاصل في النمط المعماري للسكنات والتي أكثرها عبارة عن عمارات تحتوي بيوت صغيرة تساعد من الاستقلالية وعدم الاختلاط، وتمتعها بالخصوصية في طريقة العيش.

- إن صغر حجم الأسرة سيكلفها القيام بنشاطاتها لوحدها دون المشاركة والتعاون مع باقي أفراد العائلة الكبيرة .

- المستوى العلمي المتقدم الذي تتمتع به المجتمعات، وارتفاع مستوى الثقافة، والوعي الديني يجعل العديد من العادات الشعبية التي لا تنطوي في محتواها على منطق علمي أو ديني مرفوضة ومنه تهجر.

- تغير بعض الأعراف والاعتقادات من شأنه أن يغير من العادة التي تحتكم لها.

ت-العادات المتعلقة بالختان بين الأمس واليوم:

إن الختان من السنة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية الحنيفة، ولا يخفى على أحد أن الختان له حكمة كبيرة من الناحية الصحية،.وكان السكان بمجرد أن يولد الطفل يشرع في التفكير في يوم ختانه ويفتحرون به لاعتباره سيحمل صفات الرجولة ، فما إن يبلغ الطفل ثلاث أو أربع سنوات يبدأ والده في التحضير لختانه وغالبا ما يكون ذلك بإقامة وليمة كبيرة، وقليل هم الذين يختنون أبنائهم دون احتفال بهذه المناسبة، و الاحتفال يعد إشهار لختان الطفل، وغالبا ما يكون ذلك في يومي الخميس والجمعة.

(1)- برو محمد ومعوش عبد الحميد، الاتصال والتواصل الأسري قديما وحديثا، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 9 و10 أبريل 2013، الموقع الالكتروني:
https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/2119/1/45.pdf

تقول الحاجة جناة: "نهار قبل الطهور ندوشو الطفل وتحطلوا جداتو الحنة في يديه ورجليه وفي الصباح يلبسوه القندورة وطربوشة وترباقة وفوقها برنوس ويجي الطهار للدار ،تتلم نسا في الساحة ويبوا يدقوا بالمهراس ويغنوا باه أم الطفل متسمعش ولدها يبكي." [1]. أما اليوم فأصبح يرافق الطفل موكب من الأقارب وفرقة الطبلة الزرنة، وبعد عودته إلى المنزل يستقبل بنغمات الزرنة وزغاريد النساء ومن العادات الشائعة أضافت الحاجة جناة قديما : "كان الصغير ميحففش شعروا حتى لنهار طهوروا كاين اللي يخلي نهار طهور ولدو في ليلة سبعة وعشرين." [2]

يحتفل بختان الطفل منذ القديم، والاحتفال عند الأجداد له طعم خاص لما فيه من عادات وتقاليد عديدة تضفي البهجة على مراسيم الاحتفال؛ حيث فتقام الولائم، تروي جدتي غزالة فتقول: "بكري كان الطهور عربي كنا نديرو الحنة و نفرحو بيه مع لفاميلية ومن غدوى يجي لمطهر لدار يقعدو الطفل فوق قصعة لوح وتحني عليه جداتو وهي تغني"طَّهَرْ يَامْطَّهَرْ سَايَسْ يِدِيكْ يَاوْمَا تُوجَعْش وْلِيدِي لَعْضَب عْلِيكْ" أَوَّلْهَا طْهَارَة وَاَخَرْهَا عْرِيس ...، وكي يكمل تسمع الزغاريد ويديرو له عشاء و يعرضوا لفاميليا أما في يومنا هذا يطهروه بالساكت ،لمن سمع ولمن درى ".(3)

من نلحظ من المقولات السابقة أن الكثير من العادات الشعبية المعتادة في حفل اختتان الأطفال لم تعد كالسابق منها تغيير في الملابس التقليدية، إذ نجد الكثير من العوائل قد عدلت عليها بألبسة عصرية وأخرى ليست من تراثنا، فقديما كانت ملابس الختان بسيطة عبارة عن قندورة وطربوش أما اليوم فقد تفننوا فيها وأصبحت تواكب عالم الموضة مثل اللباس الخليجي أو اللباس التقليدي التركي[4]، وصيحات الألبسة العصرية وهذا التغيير حاصل بتغير فكر المجتمع، لأن التغير في العوامل الثقافية والأيديولوجية ينتج عنه تغير في القيم.

لقد تخلى الكثير من أبناء المنطقة على الملابس التقليدية بتفضيل نوعية لباس مغايرة ويعود ذلك إلى العوامل المؤثرة في التغير المجتمع منها طبيعة التطور والانفتاح على العولمة، الذي فرض التلاقح

1 جناة عبد الصمد،68سنة، متقاعدة، ولاية الطارف

2 المرجع نفسه.

(3)- غزالة عمروسي :85سنة، أرملة، مواليد 1939، بلدية الطارف، ولاية الطارف.

4 ينظر الملحق

الثقافي، حيث فتح المجال لاكتشاف العالم والاحتكاك مع باقي الشعوب والتأثر بهم، كما لاحظنا أنه لم يعد يقام الختان في البيت بل في مراكز صحية ومراقبات طبية ومستشفيات، وهذا لضمان سلامة الابن المختون وتتبع قواعد الصحة، وتحيلنا المقولة الأخيرة إلى أن العائلات لم تعد تكثر الصخب والغناء والاحتفال الموسع في الختان كما في السابق، وإنما يكتفون بلمة عائليه صغيرة المقربة، تبركا بختان الابن، أو ربما يجرى هذا الختان في قاعات للأفراح مثله مثل حفلات الزواج، عبارة عن غناء صاخب وكثرة الألعاب النارية واستعمال مزامير، والغناء لم يعد بنكهة الأجداد.

3- الثابت والمتغير في العادات المتعلقة الأعياد والمناسبات الدينية:

يحتفل سكان الجزائر على مختلف بطونها على غرار كل مناطق الوطن العربي بجملة من الأعياد والمناسبات خلال السنة، والتي سنقف على بعض العادات الشعبية الممارسة فيها ومدى تشبث المجتمعات اليوم بممارسات الأجداد فيها، وما التغيير الذي اعتراها وأسبابه.

أ- الأعياد الدينية- :

شرع الدين الإسلامي عيدين يحتفل بهما المؤمن ويحييهما طاعة لله وامتثال÷ لأمره وسنة نبيه "جاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فَقَالَ مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ قَالُوا كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ"[1] و "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ» :كَانَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُبَّةٌ يَلْبَسُهَا فِي الْعِيدَيْنِ، وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ". [2].

لا تختلف طريقة سكان الطارف في الاحتفال بالأعياد الدينية كثيرا عما هي عليه في بقية التراب الوطني فالأب يبدأ باقتناء ملابس العيد لأطفاله منذ الأيام الأولى ومن شهر رمضان المعظم، أما الأم فتقوم بتوفير كل المواد الخاصة بتحضير الحلويات، وتعمل على صنع أصناف كثيرة ومختلفة، وفي الليلة الأخيرة من شهر رمضان تقوم بوضع الحنة لأطفالها ،ولا سيما البنات،

---

1 أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السِّجِسْتاني ،سنن أبي داوود، تح: : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، باب صلاة العيدين،سجستان، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د ط، ،ج1 ، رقم الحديث، (1134)، د ت، ص:295.

2 أبو بكر مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تح: مُحَمَّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ط، ج 3، رقم الحديث (1765)، د.ت، ص: 132.

تقول الحاجة حياة " نوض صباح بكري نطيب لبراج ونوجد سينية فاها القهوة وشوية براج من لطيبتهم ونلبسو حوايجنا جدد، وندير شوي براج في صحن وترموسة قهوة ونديرهم في القفة باه نديهم معايا لجبانة نزوروا الموتى تاعنا، ولي ميت راجلها طيب لحاجة لي يحبها وتداها." [1]

عند معاينتنا العديد من المقولات التي ترصد لنا عادة استقبال عيد الفطر، والتي انتقينا منها هذه المقولة، وقد تشابهت مع مقولات من التقينا بهم لجمع أكبر قدر من العادات المتنوعة في هذه المناسبة، فوجدنا أن أشهرها والذي ما زال لحد اليوم متداول في زمننا هو شراء ملابس جديدة، وتحضير الحلوى، وتنظيف البيت، واستقبال الضيوف، لاسيما الذهاب إلى زيارة القبور وتوزيع الحلوى والتصدق في المقبرة على روح الموتى- رغم أن العادة الأخيرة لم تعد حاضرة بقوة كما في السابق- يعني هذا أننا نعيش نمط حياة مقارب لحياة السلف وسلوكات مشابهة تماما لسلوكات أجدادنا، يعود ذلك ربما للطابع الديني الذي يحكم المناسبة، إذ لم تحط بها الكثير من العادات الغريبة أو الأعراف المعتقدات غير منطقية، فمسار التدين لأجدادنا لا يبتعد في سلامته عن مسار تديننا اليوم، لأننا نمارس نفس الشعائر الإسلامية التي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظها ضمن كتابه وسنة رسوله. " فينبغي للرجل أن يلبس أجمل ما عند من الثياب عند الخروج للعيد"[2] فنحن نعلم جيدا أن الشريعة الإسلامية تحث وتلح على إظهار الزينة في العيدين الفطر والأضحى.

تتشابه العادات والتقاليد عند الجزائريين من عيد الفطر وعيد الأضحى حيث تتكرر تلك الصور والمشاهد التي نراها يوم العيد كزيارة المقابر والزينة، تقول السيدة لطيفة عن عيد الأضحى :" كان الخير والغنم في الزريبة يخاير مولى ذبيحة ونحن النسا نوجدو لفاح نشروه ونظفوه ونرحوه بالمهراس، نظفو ديار ونوجدو الحنا باه نديروها للكبش وللذراري." [3] وتصرح زهرة معروف، من ولاية الشلف لـ"العربي الجديد" فتقول: " أحرص على إتمام الاستعدادات من خلال شراء الأغراض الخاصة التي تستخدم في أيام العيد الكبير كما يسمى شعبياً، وتتعلق أساساً بالأضحية، ...فضلاً عن أدوات الطبخ

1 حياة عبد الصمد،المرجع السابق.

2 أحكام العيد وآدابه، الإسلام سؤال وجواب، الموقع الإلكتروني: https://islamqa.info/ar/articles/ على الساعة: 15:25

3 لطيفة خياري المرجع السابق

والشواء، وكذا اقتناء مجموعة متنوعة من التوابل أو القّواحات كما يسميها الناس في بعض المناطق.. .تحرص أيضاً على إعداد بعض أنواع الحلويات"[1]

ومن عادات الجزائريين بصفة عامة والتي مازالت إلى يومنا هذا وضع الحناء على رأس الكبش "الأضحية " وهذا للتبرك "ويسبق العيد القيام بتنظيف البيوت وتزيينها لاستقبال المناسبة السعيدة، فللعيد مقام رفيع لدى الجزائريين، ليس فقط لكونه شعيرة دينية، ولتزامنه مع مشاهد الحج المبهجة، بل لكونه أيضاً فرصة للفرح وإسعاد الأطفال وصلة الأرحام وزيارة الأقارب." [2] وفي الصباح تنهض النسوة على صوت أذان الفجر حيث يقمن بتحضير كل ما يلزم لهذا اليوم، ما الأطفال يستمتعون بإخراج الكبش إلى الفناء أو خارج البيت وملاعبته قبل الدقائق الأخيرة من النحر. ومن بين العادات الشائعة كثيرا أن تجمع العائلة الصغيرة في البيت الكبير ويشتركون في
شراء الأضحية وغالبا ما يبادر الجد بشرائه[3]ا وهي عادة لازالت قائمة.

يفسر أستاذ علم الاجتماع بجامعة الجلفة كريم سعداوي هذه الممارسات في العيد ، في حديث لـ"العربي الجديد"، -وهو تفسير يشمل أيضا عيد الفطر - والذي نثبت به أن أكثر عاداتنا الشعبية ما زالت ليومنا هذا ومتداولة أن "العيد حاجة إنسانية يشعر الناس بأنها ضرورية، ولذا يتمسكون بها، أو بالأحرى بطقوسها، فالمناسبة من القيم الثابتة التي تنشر الابتهاج والإحساس بالانتماء". ويضيف أن "ممارسات الأعياد الدينية تبقى من الأشكال الرمزية والطقوس الاحتفالية، والمجتمع يحافظ على تراثه الشعبي الموروث في المناسبات، خصوصاً في عيد الأضحى الذي يحمل موروثاً فرجوياً يتضح جلياً في مظاهر الفرح والابتهاج، علاوة على تقوية أواصر التواصل العائلي والتضامن الاجتماعي، وكل ذلك يزيد تماسك المجتمع، ويقوي العلاقات الاجتماعية بين أفراده."[4] وذاك تبقى أجمل عادة عرفت في كلا العيدين في كل الربوع الإسلامية عادة التسامح والعفو، فقد جرت العادة أن تنسى كل الأحقاد و

1 الجزائر: عادات متوارثة للم الشمل في عيد الأضحى، صفحة العربي الجديد، الموقع الإلكتروني:
https://www.alaraby.co.uk/society على الساعة: 15:25

2 المرجع نفسه.

3 لطيفة خياري المرجع السابق

4 الجزائر: عادات متوارثة للم الشمل في عيد الأضحى، صفحة العربي الجديد، المرجع السابق.

الأضغان وتوضع جانبا في هذا اليوم العيد العظيم وتصفى القلوب وتسوى الخلافات، وتسود المحبة والتعاون .

ب-المناسبات الدينية:

يحتفل الجزائريون كغيرهم في مختلف البقاع الإسلامية بهذه المناسبات الدينية، منها المولد الشريف، وعاشوراء، ورأس السنة الهجرية، رمضان، ويحيون فيها عادات تضفي عليها التميز وكثير من البهجة ونوعا من التبرك بالخير.

وسوف نرصد بعض العادات لهذه المناسبات من خلال جملة من المقولات لسيدات يستحضرن فيها سلوكات وعادات أسلافنا في هذه الأيام المباركات.

- ✓ تروي لنا الحاجة جناة كيفية الاحتفال " في ليلة المولد نطيب الشخشوخة ولى الكسكسي بالدجاج العربي ولى باللحم كاين ليذبح خروف ولى سردوك داند ،نشعلو الشمع ونحنو للولاد والنسا وفي الصباح نحضر الزريرة ولى عصيدة بالدقيق والماء والزبدة والسكر والعسل"[1]
- ✓ الحاجة جناة عن عادات استقبال رمضان "كبير العيلة يروح للسوق يشري ما يلزم من قضية، تصنع النسا برمة من الطين جديدة خاصة بشربة زمضان "قدرة" الشربة نحضرو عجينة الشربة دويدة بدقيق القمح نطيبوها باللحم ولى دجاج العربي وقليل من الحمص." ليلة أول رمضان نطيب لغرايف ولى سفنج نتبرك بشهر سيدنا رمضان شهر الخير والبركة . يعلن عن بداية شهر رمضان من البوست (المذياع)بعدها يخرج براح الدوار ويدور ويبرح غدوة أول رمضان شهر التوبة والغفران... .تفطر العيلات عند بعضاها خاصة الناس اللي بخيرهم ويتصدقوا على العايلات الفقيرة والأرامل واليتامى... وقت آذان المغرب يقوم واحد من المتعلمين يكون قاري في المنطقة يشعل النار في مكان عالي يراه أغلب سكان المنطقة مدة خمسة دقائق وتطفى ... وفي ليلة القدر عظيمة ومفضلة يتصدقوا فيها ويطهروا فيها ذراري ويحضروا أكلات تقليدية كسكس ولى شخشوخة وتتلم العايلة وتفطر في البيت الكبير ولي عندو صغير يطهروا في الليلة هذه" .[2]

1 - عبدو خيرة، ربة بيت، سنة 87، دائرة عين زعطوط، ولاية بسكرة.

2 - جناة عبد الصمد، المرجع السابق.

سردت لنا الحاجة جناة كيفية الاحتفال بيوم عاشوراء وهو نفس ما وجدناه في منطقة المتليلي الشعانبة من ولاية غرداية إذ التحضير لعاشوراء " ينطلق منذ أيام عديدة ... ومن يوم عيد الأضحى... ويبقى الفول عادة متأصلة ومتجذرة متوارثة أبا عن جد, ومن جيل لأخر منذ قرون خلت لإحياء يوم عاشوراء... ،أين تستغل الأمهات الفرصة في تشريح بعض اللحم و نشره ليجفف بما يعرف بالقديد من الأضحية إعداد طبق مناسبة عاشوراء ... ويتم تقصير الشعر وقصه لكي يزداد طولا و جمالا, و فتح الأبواب والنوافذ و الخزائن المغلقة في هذا اليوم. والذي تسبقه ليلة العاشر وضع الحلي والمجوهرات الذهبية في الطبق فوق السطوح وأعلي البنايات لضوء القمر تبركا وتمنيا بنماء الرزق والزيادة فيه. كما يدخل في سياق كذلك وضع الحنة خاصة للبنات اعتقادا إن ذلك يزيدهم عطفا كما يقال بالعامة (الحنة باش أتحنن قلبوهم) ويوضع الكحل اعتقادا أن من قام بذلك لن تمرض عيناه أبدا، بينما يرى البعض في ذلك تبركا واكتحالا للسنة, وكذا الاغتسال في هذا اليوم بالذات... من الأمور والأشياء التي تغيرت واندثرت, عما كان عليه في السابق، حيث اختفت تفاصيل وطقوس عديدة كانت تطبع الاحتفال بهذا اليوم ولازالت قله قليلة ممن تتمسك بهذه العادات على غرار شايبة شائبة عاشوراء* – شايبة شايبة كليو فرينة ... إذ لازالت بعض الأحياء والعائلات التي كانت تحيي هذه العادة في عاشوراء تتذكرها وتعيش ذكرياتها و ترزيها للأجيال بكل حسرة.". [1] تضيف السيدة جناة وهي نفس عادات مناطق الجزائر تقريبا "لازم يذبحو إلي عندو يذبح الغنم ولي معندوش يذبح الدجاج المهم

* - ومن العادات المميزة و التي بقي وقع أثرها راسخ لا يمحى ولا ينسى رغم إندارها هي لعبة شايبة شيبة كيلوا فرينة وهي لعبة رقصة شعبية فولكلورية حسب الرواية من توات وباقي جهات أقصى الجنوب, و لعبة الدمية التي هي عبارة عن تحفة عروس ميزنة باللباس و بعض الأشياء والحلي يحمل الأطفال و البنات يجبون بها الشوارع يدقون أبواب مناول الجيران بالأحياء بالقصر القديم خاصة السوق وشارع مولاي سليمان وتقوم العائلات بمنحهم بشيء من الحلويات و النقود و المأكولات بما يعرف و يسمى بالمعروف (الصدقة) ويعود الجمع يدعون و يهللون مبسوطين و في حالة عدم صدهم و عدم إعطائهم أي شيء يقومون برمي الأبواب و ركلها مرددين عبارة (بم بم كسر البرم) في جو قال فكاهي . وهي العادة التي حرمت و منعت ولم تعود قائمة , مثلها مثل قطع الخبز المعروفة بالقرصة كما سلف ذكره بحجة أنها عادة يهودية من تقاليدهم و لا يمكن التشبه بهم كوننا مسلمين. ينظر: الأستاذ الحاج نورالدين أحمد بامون – ستراسبورغ فرنس، عادات وتقاليد عاشوراء بمتليلي الشعانبة ولاية غرداية جنوب الجزائر، المساء العربي، الموقع الإلكتروني: https://masaaraby.com/?p=252875 على الساعة: 17:00

1 المرجع نفسه.

يسيل الدم في الدار ومشت العادة عندنا البنات يقصو شعورهم ويحطو الكحلة والحنة وكاين إلي يخبي شوي لحم من العيد لكبير كي تجي هذه المناسبة يديرو بيه لعشا ويجيو السنة ويصومو نهارين."[1]

من الملاحظ لكل منطقة عادات معينة لكن اليوم في ظل تقدم الاتصال بالتطور التكنولوجي أصبحت الاحتفال بالمناسبات متشابهة، على مستوى المناطق الجزائرية وحتى العربية، تقريبا نجد عادة تحضير عشاء تقلدي يخص المنطقة (شخشوخة بسكرية ،شخشوخة الظفر، كسكس،تريدة،رشتة عاصمية ...) وتقديم تحليات متنوعة مع وضع البخور في بخارة مزينة ،وكثير من البهرجة التي تعتني بالمظهر أكثر من الهدف الديني من إحياء بهذه المناسبات هو غرس القيم الدينية في نفوس أبنائنا .

وإن المتمعن جيدا في آيات الصوم *يلاحظ بأن الله عز وجل يخبر عباده أنه فرض عليهم الصيام كما فرضه على من سبقهم من الأمم وجعله شهر في السنة وهو شهر رمضان المعظم الذي خصه الله على بقية الشهور بجملة من الخصائص فصيامه هو الركن الرابع من أركان الإسلام، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وفيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتستغفر الملائكة للصائمين ،وتضاعف فيه الحسنات، وهو سبيل من سبل التكفير عن الذنوب والخطايا لذلك يعيشه كل مسلم وكل جزائري بجوارحه، ومن ذاك أقيمت فيه العديد العديد من العادات التي لا تخرجه عن طبيعته الإسلامية، ولا تفسد أحكامه التشريعية، كالصدقة وأفطار الصائم... لتكريمه والتبرك به والمساعدة على تعظيمه، لذا ينتظره المؤمن بفارغ الصبر لثقته بأنه مجلبة للخير وبركة، وشعارهم" جاء سيدنا رمضان".

أما بشأن احتفال الجزائريين المسلمين بيومي المولد الشريف وعاشوراء فإن العديد من العادات في هذين اليومين مازالت قائمة حتى زمننا هذا، وهي عادات المناطق الجزائرية كلها في سائر المناسبات والأعياد؛ حيث يحيى هذين اليومين بطهو المأكولات التقليدية بوضع الحناء وإشعال الشموع وغيرها من

1 جناة عبد الصمد، المرجع السابق.

* يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لبقرة، الآية: 183.

- يقول عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة، الآية: 185.

العادات الشعبية، لكننا نلمس الكثير من العادات قد زالت أو في طريقها إلى الزوال، وهذا كما قلنا سابقا أنها بعيدة عن تعاليم الدين، ولم تتكيف مع مستجدات العصر، كعادة سيل الدم يوم عاشوراء بقص شعره ووضع الكحل، فعادة"**شايبة شيبة**" في منطقة غرداية مثلا قد اندثرت لأن المجتمع لم يعد يقر الطواف على البيوت و استجداء المأكولات والمواد الغذائية، لاعتبار هذا السلوك فيه الإرغام على التصدق من ناحية، ونوع من التسول من ناحية ثانية. كما أن استقلالية الأسر والأحياء عن بعضها البعض جعل الاختلاط أقل من ذي قبل يقلل من أوصل التقرب والروابط الاجتماعية، ومنه التزام كل فرد بخصوصياته واحترام خصوصيات الآخرين. أما إحياء عاشوراء بسنة الصيام مازال قائما لوجود نص شرعي من حديث رسول الله ﷺ يرغب في صوم هذا اليوم.

II. عوامل تغير العادات وثباتها:

إن المسوغات التي أدت إلى تغيير العادات وثباتها يمكن حصرها في عوامل أساسية هي: العلم والدين والتأثر بالآخر.

1- العلم والتقدم التكنلوجي:

لو ذهبنا إلى العلم فنجد أن ثقافة المجتمع وفكره أصبحا أكثر انفتاحا على العلوم ومستجداتها، مما يضمن تغييرا في سلوكات مجتمعه، وكلما كان المجتمع اكثر حداثة وعصرنة وتمسكا بالتطور التكنولوجي الحاصل كلما تغيرت العادة البعيدة عن منطق العلم، أو يلامسها التغيير منها مثلا ختان الأطفال فلم يعد بالطريقة الشعبية –عند الطهّار حسب التسمية الشعبية- إنما يمارس الختان على يد الأطباء في ظروف صحية، توفر الوقاية لضمان سلامة الأبناء، وحتى الحرفي الذي يمتهن حرفة ختان الأطفال نجده هو بذاته لم يعد يستعمل الطب الشعبي في تطبيب مكان الجرح، إنما يتحرى النظافة والوسائل الطبية المعقمه؛ مثل الضمادات والمطهرات الجرح والمعقمات... إلى غير ذلك،لكن " العديد من العائلات الجزائرية لا تزال متمسكة بالعادات والتقاليد في عمليات الختان، وتقصد أشخاصا يمارسون الختان التقليدي أو ما يطلق عليه "الطهار" رغم أن هذا الشخص لا يمتلك أي شهادة طبية تسمح له بممارسة هذا العمل الجراحي".[1] بيد أن الطابع العام اليوم في مجتمعنا دُفِعَ إلى التخلي عن عادات أجدادهم في الختان جراء الخوف من عواقب الطب الشعبي، والاطمئنان إلى العلوم الطبية المتطورة، ومناشدة السلامة الصحية للأولاد ووقايتهم، مما أدى إلى ضعف -أن لم نقل تلاشي- عادة الختان بالطرق القديمة المتوارثة من الأجداد.

ومن العادات التي تم التخلي عنها وتجنبها لأنها لا تحتكم لمنطق العقل، وأن التطور الحاصل في فكر الفرد بسبب ارتفاع نسق التعلم عن ذي قبل، جعله يمجها، تتمثل في تجنب تناول الأطعمة معينة في أيام معينة و"تعتبر هذه العادة غريبة في بعض المناطق الجزائرية، حيث يتجنب الناس تناول بعض الأطعمة في أيام محددة. مثلاً، يُعتقد أن تناول اللحم في يوم الأربعاء قد يجلب الحظ السيء ويسبب

1 - ياسين بودهان، _، الختان بالجزائر.. تساؤلات بشأن الرقابة والسلامة، صفحة الجزيرة، الموقع الإلكتروني: https://www.aljazeera.net/health/2015/ على الساعة: 12:21

المشاكل"[1] من الملاحظ أنه نوع من التطير الذي نهانا عنه ديننا الحنيف، لذا لم تعد هذه العادة متداولة في يومنا هذا وإنما زالت واندثرت .

إن التطور التكنولوجي والعولمة الذي نعيشه في عصرنا جعل المجتمع يتعايش معها ويستخدمها في كل مظاهر حياته كما ذكرنا سابقا في موكب العروس الذي أصبح باخ السيارات بدل ظهور الدواب. إلى جانب العديد من العادات التي تحمل في طياتها التطير أو الشعوذة والسحر فإنها قلت حدتها في المناطق المجتمعية اليوم خاصة المدنية منها، وهذا كما قلنا سابقا للتنوير بالعلوم، والتقدم التكنلوجي الذي جعل العالم منفتح على كل المجالات مما ساهم في إظهار الحقائق وانتشار المعلومة وتفاعل الأفراد فيما بينهم.

2- الدين:

أما من ناحية الدين فالكثير من العادات البعيدة عن وازع الدين فإن المجتمع مجها وعدل عنها، لوجود النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي تحرمها أو تنهى منها، وهذه التشريعات الدينية عرفها المجتمع من خلال الدعوة عبر المساجد وجميع وسائل الاتصال والتكنولوجيا. للدين" تأثير كبير في توجيه الإنسان لمواجهة تغيرات الحياة، والتقدم نحو المثل العليا والكمال الأخلاقي، ... هو القوة الوحيدة المؤثرة في التقدم، فالدين هو الذي يوحد بين الأجيال ويحقق التكامل بين المجتمعات وينقذ الحضارة من الأفكار، والدين هو الذي يسمح بوجود تقدم اجتماعي وتغير مستمرين." [2]

من العادات الشعبية التي ابتعد فيها أجدادنا عن تعاليم الدين، عادة التوسل بالأولياء الصالحين*

ومن الملاحظ أن الأولياء يحضون بمكانة خاصة عند النساء أكثر من الرجال، وهذا ما لمسناه من خلال اتصالنا بالميدان، حيث وجدنا أن المرأة هي الأكثر تقديسا للأولياء وترددا على الأضرحة، وذلك

1 عادات وتقاليد الجزائر في الماضي والحاضر، بنك المعرفة، أغرب العادات في الجزائر، الموقع الإلكتروني: https://daqaeq.net على الساعة: 12سا20د.

2 محمود عودة: أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي، ذات السلاسل للطباعة والنشر ط2 الكويت 1989 ص-ص: 146 147 .

* تدل كلمة " الولي " على تلك الفئة من الشخصيات الدينية التي تحضى بتكريم خاص من الناس لكثرة تعبدها وتقربها من الله، من الناس من يرى في الأولياء قوة إيمان عظيمة لذا هم أهل الله يطلق عليهم اسم براكة. يحدد موعد معين لزيارة الولي تقام فيه ما يسمى الزردة (سيدي فلان) تتحمس العائلات وكل واحد يقدم نذره وسط الحضور، ويذبح النذر (النفقة: هي قطع من اللحم التي توزع بالتساوي على أهل المنطقة) قبل ما يفرق اللحم تقرأ فاتحة القرآن وترفع الدعوات، ويوعد النذر للعام القادم.

لاعتقادنا أنها قديما أقل حظا في التعليم من الرجل، وتشعر بنوع من الضعف فتلجأ إلى هؤلاء للتعبير عن الشعور بالضيق والحاجة والاستغاثة، عكس الرجل الذي لا يهتم كثيرا بمثل هذه الممارسات لاعتباره أقوى من المرأة، كما بإمكانه الترويح عن نفسه إن أراد ذلك في أي وقت وفي أي مكان.

تحكي لنا الحاجة جناة وتقول:" ناس بكري نية وقلك أقطع النية في حجرة تنال منها بفضل ربي، العبد كي تضيق بيه يرجع لربي وللولية الصالحين، وكل عرش عنده ولي كيما نقولو جدهم، سيدي بلقاسم ،سيدي حمد، بوبكر و العربي، سميدة والشرفة ،بومنجل ،سيدي مهدي، سيدي مسعود بن وحشية... ندعو ربي ونقولو أربي يشفي وليدي ،تنجح بنتي، يخدم ولدي، نجيب ولد، كل واحد يدعي واش في قلبه نطيب عصيدة ولى طمينة لسيدي فلان وتفرقها على الجيران أو الفقراء ولى نذبح خروف ولى سردوك بفضل الله والنية الصادقة تتحقق الأمنية ويقدم النذر."[1]

يتبرك بالأولياء الصالحين أيضا عند جفاف الأرض وندره الأمطار فيذبحون النذر ويطهون أكلات تقليدية أهمها العصيدة، وتوزع بنيه هطول المطر وتؤكد الحاجه جناة: "كي متصبش النو يتلمو النسا تع الدوار الكبار ويطيبو العصيدة للولي تاعهم لي حاطينو جدهم وقاطعين فيه النية وبعد يجو الأطفال و الكناين الصغار والبنات لمهمش متزوجات ويحطو لعصيدة في قصعة كبيرة ويوكلو مع بعضاهم، وبعدها يهزوا فاتحة وحدة منهم تقول الدعاء ويطلبوا ربي وبالنية تاعهم متعشي لعشية غير تصب النو". [2]

إذن الأولياء في المعتقد الشعبي هم بعض الصالحين الذين تميزو بالتقوى والورع ، يمتلكون كرمات تقربهم إلى الله ما يدل على جدارتهم بلقب الولاية .وبكرامتهم يتم الاعتقاد ببركتهم وبهم تقضى الحوائج.

لكن بالعودة إلى واقعنا الحالي نجد أن مثل هذه العادات قد قلت كثيرا أن لم نقل ولت، ولعل الفئة التي مازالت تؤمن بها هي من المناطق البدوية المنغلقة على نفسها، والأقل مستوى تعليمي ومنه أقل حظا في التفقه في الدين. فأهم دافع للبعد عن هذه العادة التمسك بالدين وانتشار الدعوات المحرمة لها، حيث نهانا الدين الإسلامي الحنيف عن هذه الممارسات، و نؤمن بالله مالك الملك يصرف الأمر

1 جناة عبد الصمد، المرجع السابق.

2 المرجع نفسه.

كيف يشاء، ولا نحتاج لأي واسطة بيننا وبينه، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

كما " لا يجوز التبرك بأحد غير النبي ﷺ لا بوضوئه ولا بشعره ولا بعرقه ولا بشيء من جسده، بل هذا كله خاص بالنبي ﷺ لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة "[2]، لذا يكون التوسل بالأولياء هو من الشرك الأكبر، يبين الشيخ ابن الباز حكم التوسل والاستعانة بالأولياء الصالحين قائلا: " أما سؤال الأموات والاستغاثة بالأموات، والنذر للأموات فشرك أكبر، هذا عمل الجاهلية، عمل قريش في جاهليتها، وعمل غيرهم من الكفرة، سؤال الأموات، وأصحاب القبور، والاستغاثة بهم، والاستعانة بهم؛ هذا الشرك الأكبر، هذا عبادة غير الله" [3]، ومنه يكون الوازع الديني ونشر الوعي عن طريق الوسائل التكنولوجية الحديثة كالتلفاز والأنترنت والمذياع، وغيرها السبب في تغير العادة بل يجب زوالها .فنحن ننكر من تراثنا وما عايشه أجدادنا كل ما لا يتماشى مع ديننا الإسلامي. ولا بضر بتطور مجتمعاتنا.

3- التأثر بالآخر:

قاد انفتاح المجتمعات على بعضها البعض الاطلاع على مستجدات العصر، خاصة عبر الوسائل الاتصال التكنولوجية التي جعلت العالم كله قرية واحدة، يعيش على ثقافات متقاربة، يتأثر هذا بذاك، فمثلا عادة إلباس الولد الذي نريد ختانه ألسة تقليدية تركية، أو كعادة الذهاب العروسين في شهر العسل. فهي مستحدثات بات تطبيقها تحصيل حاصل بين الأفراد وأقرها المجتمع فلم تعد غريبة فيه رغم أنها لا تمت بصلة للأسلاف.

غياب الكثير من العادات التي تعلي فكر المجموعة على حساب الفرد، لذا لم يعد المنتمي للمجتمع قابلا لقوانين ومعتقدات وأعرف الأجداد إذا لم ير فيها العقلانية والتفكير العلمي السديد ، من هنا علا صوت الذات كنوع من فرض الوجود وحرية تعبير، واختيار نمط العيش الذي يمثله هو لا الجماعة،

(1)- سورة البقرة، الآية: 186 فوزية بودبزة ،70سنة بلدية بحيرة الطيور، ولاية الطارف

(2)- حكم التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن الباز: https://binbaz.org.sa/fatwas/2003/

(3)- حكم التوسل والاستعانة بالأولياء الصالحين، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن الباز:
https://binbaz.org.sa/fatwas/11711

والامتثال للقدوة التي يرها أنسب بالنسبة لشخصه ولو كانت من خارج ثقافته، وخير دليل على ذلك إتباع جيل اليوم عادات اللباس وحلق الشعر لبعض المشهورين من اللاعبين أو الممثلين أو المؤثرين في العالم، أو تنويع العروس اللباس على مختلف الطبوع العربية والغربية – جزائري –تونسي- هندي...-يوم زفافها أو ما يسمى في عاداتنا بـ"**التصديرة**"، وإن كان المجتمع ينفر من بعضها لأنها تبتعد كل البعد عن أصالتنا وهويتنا.

أيضا، قديما كانت المرأة ماكثة في البيت لا تدرس ولا تعمل وخروجها من المنزل محسوب بل لا يكون إلا مع مغيب الشمس كي لا يراها الرجال، أما اليوم فنراها تذهب للتعلم والعمل، فسقطت عنها الكثير من العادات التقليدية، وأصبحت تواكب عالم الموضة وتغيرت أفكارها واهتماماتها وعاداتها نتيجة لتأثرها بعادات ثقافية وأيديولوجية للآخر. ويعلو صيت هذه المظاهر والعادات أكثر في المدن الحضرية عن المناطق البدوية ، وهذا طبعا يعود إلى طبيعة المنطقة وسكانها، فالمنطقي أن مناطق المدن تكوّن الطبقة المثقفة والتي تحمل أفكارا تجديدية، وأفكارا متعايشة مع مستجدات العصر وأكثر طواعية لما في الثقافات الأخرى، هذا لا يعني أن مناطق الظل أو النائية لم تلمسها الحضارة، لكن أسلوب التحفظ سيكون أكثر وضوحا في البدو منه في المدينة، وستبرز العادات الشعبية التراثية في الأولى عن الثانية التي تميزها العصرنة والتجدد. والانفتاح لاكتشاف العالم والاحتكاك مع باقي الشعوب والتأثر بهم، مما ساعد في خلق أفاق التواصل والاتصال والتغيير لمفاهيم جديدة.

خلص في نهاية هذا البحث الفصل إلى

- أن الثابت والمتغير حالتان تعتريان العادات شأنها شأن باقي المجالات الحياة التي تتغير أو تثبت عبر الزمن والاحقاب التي تمر عليها.
- أن ثبات العادة من تغيرها ليس بالأمر الدقيق، يمكن حسابه وضبطه، إنما هو نسبي وهذا راجع لطبيعة العادات فهي ظاهرة إنسانية خاضعة لتطور الفكر، وتصوراته.
- يكون التغيير أو الثبات في العادة الشعبية جراء عوامل تستدعيها، أهمها التطور التكنولوجي، وتطور العلمي والتشريع الديني، والتأثر بالآخر.
- إن مصدر التغيير أو ثبات العادة الشعبية في المجتمع يكون، إما داخلي نابع من المجتمع ، أو خارجي عن طريق التأثر بالثقافات الأخرى.

الخاتمة

نوجز في خاتمه هذا البحث أهم النتائج المتحصل عليها في النقاط الآتية:

1. يعد التراث الشعبي أهم مقومات الأمم، يعكس الهوية الثقافية للمجتمعات، ويشكل أحد المصادر الغنية التي تحافظ على الروابط بين الأجيال.
2. ليس التراث الشعبي مجرد مجموعة من العادات والتقاليد التي تنتقل من جيل إلى جيل، بل هو مزيج معقد من مجالات الحياة ومركب من الثوابت والمتغيرات الاجتماعية والثقافية والدينية... التي تساهم في تشكيل وتطوير الثقافة الشعبية عبر الزمن.
3. إن الثابت والمتغير للموروث الشعبي ليسا مجرد مفاهيم ثابتة، بل هما متشابكان ومتفاعلان في عملية تطور مستمرة.
4. يشمل التراث الشعبي مجموعة من الممارسات، تعكس جوانب متعددة من حياة المجتمع تتكرر فيه تسمى العادات، مجالها من أوسع جالات التراث، وهي تتسم بوجود عناصر ثابتة وأخرى متغيرة.
5. إن الأصالة والموروث الثقافي محل نقاش وجدال من خلال التعمق في مفهوم التراث وعلاقته بالتجديد، فتتسم الأصالة والحداثة بالترابط والتكامل، حيث تمنح الأصالة الأسس والقيم الثابتة التي يمكن استخدامها لتوجيه عملية التجديد والتغيير، بينما الحداثة تقدم الأدوات والمنهجيات التي تساعد في تطويع التراث ليتناسب مع التغيرات المعاصرة.
6. يكون الثابت والمتغير في أي ظاهرة شعبية بسبب عوامل تؤثر فيها، فلا يحصل صدفة أو من العدم، فيؤدي تأثير هذا العامل إما إلى ثباتها او تغيرها بأي صفه كانت.
7. العادات من الظواهر التي يعتريها الثابت والمتغير ذلك أنها أحداث وسلوكات في المجتمع قد يثبتها وقد يهجرها وقد يعدل فيها .
8. يتخذ التغيير مظهرين مظهر داخلي وآخر خارجي، بمعنى أن العادات تتغير بعوامل منبعثة من مجتمعها، من داخل بنائها التنظيمي الشعبي وعادة تجيء هذه العوامل من مصادر دينية وتعليمية، حيث أن الوازع الديني والتمسك بالشريعة الإسلامية جعل كثير من العادات

تتغير وأخرى تزول، وكذا المستوى الثقافي والتعليمي لأفراد المجتمع يجعله يعدل عن كثير من العادات الشعبية التي لا تحتكم الى منطق أو بعيدة عن العلم والعقل. والمظهر الثاني الخارجي يتمثل أن التغيير يحدث جراء التأثر بعوامل خارجية منها الثقافات الأجنبية المسيطرة والمنتشرة عبر العالم ، والتقدم التكنولوجي الذي يشهده العالم بأسره.

9. ليس كل متغير في العادات الشعبية يكون بقيم إيجابية إنما يكون بالسلب أيضا، إذ التحول قد يؤدي إلى تغيير محمود أو إلى تغير لا يحمد عقباه.
10. يعود ثبات العادات في المجتمع بتداولها على الأصول التي توارثها الجيل اللاحق من أجياله السابقة، وتغيرها يكون في إيجاد بدائل عنها، وهذا التغير يحدث إما كليا أو جزئيا.
11. قد يكون المتغير والثابت في العادات لمجتمع ما خاصية غير واضحة فيه، إذ قد تتغير عادة عند بعض أفراد المجتمع، وقد تثبت عند بعضه الآخر.
12. العادات ليست عقائد نظرية ثابتة وحقائق دائمة، كما ليس دولبة متغيرة دوما متجددة، بل هو مجموعة من العلائق الثابتة والمتغيرة، يتطلب منا موازنة بين ثابته للحفاظ على القيم الأساسية الأصيلة ومتغيّره للتكيّف مع متطلبات العصر الحديثة. ومن خلال فهم هذه العلاقة يمكننا العمل على الحفاظ على الهوية الشعبية الموروثة، وتحديثها بطرق تعزز من قدرتنا على التكيف مع العصر دون التفريط في القيم الثقافية التي تمثل جوهر تراثنا.

التوصيات:

1- نوصي طلبة العلم والباحثين في مجال التراث الشعبي بدراسة قسم العادات الشعبي لما فيه من تأثير على تغير نمط عيش الأجيال بين الأمس واليوم.
2- نرفع شغفنا واهتمامنا بالتراث بصفة عامة والعادات بصفة خاصة إلى الباحثين المختصين في هذا المجال للبحث في المتغير والثابت فيه حتى نستطيع أن نبين مدى أصاة شعوبنا ومدى التأثير الأجنبي عليها. كما نحدد مستوى تطورها من عدمه ، وتحديد تلك العادات التي ابتعدت عن منطق العقل واستبدالها بعلوم وقيم حداثية، تتماشى معها مستوى تطور الأفراد والأمم.

3- نوصي الجهات المعنية بالتراث من مجتمع مدني ومؤسسات الدولة أن تتفتح مجالات البحث وتوفر إمكانات العمل في التراث الشعبي، خاصة إذا تعلق الأمر بالهوية والأصالة، وبيان تميزها وتفردها عن الشعوب.

4- ميدان التراث عميق وصعب يتطلب التكاثف والتظافر وتوفير الإمكانات اللوجستية التي تمكن من البحث وتساعد في إنجازه في أقرب وقت وأكثر علمية ودقة.

5- كما نوصي مجامع اللغة والباحثين في التراث الشعبي بالبحث الميداني للملمة الكثير من العادات التي هي اليوم عرضة للاضمحلال والتلاشي في ظل عالم تسوسه العولمة والتكنولوجيا

تم العمل بفضل من الله

قائمة المراجع

I. **القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، الدار القيمة للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، (ط2)، 2019م.**

II. **المراجع باللغة العربية والأجنبية:**

1- أدونيس الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، الهيئة العامة لقصور الثقافة..

2- إحسان مُحَمَّد لحسن ، مبادئ علم الاجتماع الحديث ، دار وائل للنشر،عمان ، الأردن 2005.

3- أحمد النكلاوي، التغيير والبناء الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، مصر، د ط، 1968،.

4- ألبرت مور، التغيير الاجتماعي، ترجمة عمر القباني، دار الكرنك، القاهرة، مصر، ط1 ، 1966.

5- أنطوان نعمه وآخرون، المنجد الفرنسي العربي، مادة (stable)، دار المشرق، بيروت، لبنان،1984 .

6- جودة بني جابر، علم النفس الاجتماعي، مكتب الدار الثقافة للنشر والتوزيع عمان الأردن 2004.

7- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السِّجِسْتاني ،سنن أبي داوود، تح: : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، باب صلاة العيدين،سجستان، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د ط، ،ج1 ، رقم الحديث، (1134)، د. ت.

8- حنفي حسين، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط.1، 2002

9- ابن خلدون، عبدالرحمان، مقدمة ابن خلدون، تحقيق ودراسة: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، مصر، ج1، 2004م.

10- سيد علي إسماعيل، أثر التراث العربي في المسرح المصري ،الناشر مؤسسة الهنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة،(د ط)،(د ت)

11- صلاح الصاوي: الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر أكاديمية الشريعة بأمريكا،ط1، 1443هـ،2009م

12- عاطف مُحَمَّد، غيث التعبير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف، القاهرة،ط2، 1966.

13- فاضل عبد العباس محسن النعيمي، مُحَمَّد عباس نهاية ثامر الجرياوي، الثابت والمتغير في الإعجاز التشريعي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج 9، ع 2، 2019م.

14- لخولي سناء، التعبير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1993.

15- مجموعة مؤلفين، مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر المجتمع المسلم... الثوابت والمتغيرات، رابطة العالم الإسلامي 1433هـ، 2012م

16- مُحَمَّد الدقس، التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار مجدلاوي، الأردن ط2.

17- مُحَمَّد عابد الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي، دت، دط، الدار البيضاء، المغرب، 1992.

18- مُحَمَّد علي الصليم، الضبط والتحديد بني الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، السعودية، العدد94، سبتمبر 2023.

19- محمود عودة: أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي، ذات السلاسل للطباعة والنشر ط2 الكويت 1989 ص-ص: 146 147

20- مسعد الفاروق حمودة وابراهيم عبد الهادي المليجي، المدخل الى تنظيم المجتمع المعاصر ،نظرة تكاملية ،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط،1 ،.

القواميس

21- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادو (و ر ث)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، مج 1، 2008

22- مجد الدين مُحَمَّد يعقوب الفيروز أبادي،القاموس المحيط،تح:أنس مُحَمَّد الشامي وزكريا جابر أحمد،مادة غير،دار الحديث،القاهرة،مصر،طبعة منقحة،2008

23- ابن منظور، لسان العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط1، مج 7 200

IV. **الرسائل الجامعية:**

24- رائد نصري جميل أبو مؤنس، الثوابت والمتغيرات في التشريع الإسلامي دراسة أصولية تحليلية، أطروحة لاستكمال لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله المشرف: عبد المعز حريز، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004

25- وحواوسة جمال، محاضرات في مقياس تغير اجتماعي، مطبوعة بيداغوجية موجهة للسنة الثانية علم الاجتماع، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2020-2021

26- رائد نصري جميل أبو مؤنس، الثوابت والمتغيرات في التشريع الإسلامي دراسة أصولية تحليلية، أطروحة لاستكمال لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله المشرف: عبد المعز حريز، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004.

V. **المنشورات الوزارية**

27- -مديرية التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2008.

IV. **مواقع الانترنيت:**

27_ وحام الحامل/ PregnancyCraving،صفحة الطبي، الموقع الإلكتروني: https://altibbi.com على الساعة: 11:50

28__ برو مُحَمَّد ومعوش عبد الحميد، الاتصال والتواصل الأسري قديما وحديثا، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 9 و10 أبريل 2013، الموقع الالكتروني:
https://dspace.univ-ouargla.dz/jspui/bitstream/123456789/2119/1/45.pdf

29__ أحكام العيد وآدابه، الإسلام سؤال وجواب، الموقع الإلكتروني:
https://islamqa.info/ar/articles/ على الساعة: 15:25

30__ الجزائر: عادات متوارثة للم الشمل في عيد الأضحى، صفحة العربي الجديد، الموقع الإلكتروني:https://www.alaraby.co.uk/society على الساعة: 15:25

31__ الأستاذ الحاج نورالدين أحمد بامون – ستراسبورغ فرنس، عادات وتقاليد عاشوراء بمتليلي الشعانبة ولاية غرداية جنوب الجزائر، المساء العربي، الموقع الإلكتروني:
https://masaaraby.com/?p=252875 على الساعة: 17:00

__ ياسين بودهان،، الختان بالجزائر.. تساؤلات بشأن الرقابة والسلامة،صفحة الجزيرة، الموقع الإلكتروني: https://www.aljazeera.net/health/2015/ على الساعة: 12:21

32__ عادات وتقاليد الجزائر في الماضي والحاضر، بنك المعرفة، أغرب العادات في الجزائر، الموقع الإلكتروني: https://daqaeq.net
على الساعة: 12سا20د

33__حكم التبرك بالعلماء والصالحين وآثارهم، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن الباز:
https://binbaz.org.sa/fatwas/2003/

34__حكم التوسل والاستعانة بالأولياء الصالحين، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن الباز:
https://binbaz.org.sa/fatwas/11711

35__ نورالدين بن زيان و.طلباوي الحوسين، ظاهرة الزواج المبكر كممارسة تقليدية من أجل إعادة إنتاج الهوية داخل الأسرة في المجال العمراني الحضري: (بلدية تبسبست بدائرة تقرت ولاية ورقلة نموذج)، جامعة ورقلة، ص: 129. الموقع الإلكتروني: https://dspace.univ-ouargla.dz على الساعة: 22:40

36__ مؤسسة من أجل المساواة، مرافعة ضد زواج االطفال في الجزائر 2016، بدعم من سفارة كندا بالجزائر، 2016

https://ciddef-dz.com/wp-content/uploads/2021/04/Plaidoyer_MariageEnfants_

الملحق

1- الخطبة بين الماضي والحاضر:

2- حنة العروس :

3- محفل العروس

4- الولادة قديما وحديثا

5_ الطهور :

6_ عيد الفطر:

7_ عيد الأضحى :

8_ المولد النبوي الشريف

9- أكلات تقليدية تقدم في يوم عاشوراء:

أكلة تحضر في مدينة غرداية يوم عاشوراء

أكلات تقليدية تقدم في الشرق الجزائري :كسكس، شخشوخة الظفر،الفطير

دشيشة الصحراوية

الزفيطي

فطير أقسول يقدم في منطقة القبائل

الرشتة العاصمية

10- ألبسة تقليدية جزائرية متنوعة :

ALGERIA SPACE

فهرس الموضوعات

- **مقدمة** 5-1

المدخل
الثابت والمتغير وعلاقتهما بالتراث الشعبي

- **تمهيد**..... 07

I- الثابت والمتغير:التعريف والخصائص..... 08

1-تعريف الثابت وبيان خصائصه..... 08

2-مفهوم المتغير وتعيين عوامله وخصائصه..... 11

II - الثابت والمتغير في الموروث الشعبي 18

الفصل النظري
التراث والعادات الشعبية المفهوم، المميزات، والأهمية

- **تمهيد**..... 21

I - تعريف التراث وبيان أقسامه وخصائصه وأهميته..... 22

1- تعريف التراث..... 22

2- مميزاته وأقسامه..... 25

II - مفهوم العادات الشعبية وتحديد نشأتها وأهميتها وتفرعها..... 35

1- تعريف العادات الشعبية وبيان نشأتها 35

2- تفرع العادات الشعبية ومميزاتها..... 40

3- أهمية العادات الشعبية وعلاقتها بالفرد والمجتمع 44

الفصل التّطبيقي
الثابت والمتغير في العادات الشعبية الجزائرية

- **تمهيد**..... 48

I - بعض العادات المتعلقة بالمرأة والطفل..... 49

1- عادات متعلقة بالعروس ومدى تغيرها وثباتها..... 49

2- عادات متعلقة بالوحم وما بعد الولادة والختان..... 54

3- الثابت والمتغير في العادات المتعلقة بالأعياد والمناسبات الدينية..... 60

II - عوامل تغيير العادات وثباتها 67
1- العلم والتقدم التكنولوجي 67
2- الدين 68
3- التأثر بالآخر 70

- **خاتمة** 72
- **قائمة المراجع** 76
- **الملحق** 82
- **فهرس الموضوعات** 88
- **ملخص**

الحمد لله

ملخّـــص

تعتري العادات الشعبية وضعيات تساعدها على الثبات ووضعيات تؤدي بها إلى المتغير، فلا يمكن أن يثبت هذا الموروث على حاله كما كان عند الأجداد، بل قد يتغير تغييرًا كليًا أو جزئيًا أو قد يزول بعضه لعدم تكيفه مع متطلبات العصر، أو بتأثير عوامل داخلية من محيطه أو خارجية عنه كالدين والعلم والتأثربالآخر.

من جانب آخر قد تثبت بعض العادات الشعبية وتستمر في المجتمع الذي يزاولها، ويعبر بها عن أصالته وهويته.

أزهار بوعلاق

Summary

Folk customs are subject to conditions that help them to remain stable and conditions that lead them to change. This heritage cannot remain as it was with the ancestors. Rather, it may change completely or partially, or some of it may disappear due to its lack of adaptation to the requirements of the era, or due to the influence of internal factors from its surroundings or External to it, such as religion, science, and being influenced by others.

On the other hand, some popular customs may be established and continue in the society that practices them, and through them expresses its originality and identity .

Azhar Boualleg